

أجاثا كريستي
أخطاء القضاء



أجاثا كريستي

{1976 - 1890}

–الكاتبة التي ترجمت رواياتها إلى 103 لغات.

– بيع من كتبها أكثر من 900 مليون نسخة باللغة الإنجليزية وحدها.

– كاتبة روايات بوليسية، ولدت في إنجلترا تتميز عن جميع الروائيين البوليسيين، مما نصّبها ملكة عليهم جميعًا. تميّزت أيضًا بأنّ أشخاص رواياتها أشخاص عاديون، ولكنّهم تعرضوا في الرواية لظروف أزالت القناع الحضاري عن الوحوش القابعة في أعماق كل إنسان. كذلك لم تلجأ الكاتبة العظيمة إلى عنصر الجنس في رواياتها، على عكس ما اتبعه الآخرون. ولم تهدف إلى الإثارة، ولا تلجأ إليها. ورواياتها تضمّنت أيضًا أهدافًا إنسانية فحواها أنّ (الجريمة لا تفيد) وأنّ الخير هو المنتصر في النهاية.

أخطاء القضاء

Mrs.McGinty's Dead

إنها قضيّة خادمة متجولة سُرقت وقُتلت، كانت تُدعى السيدة «ماك جنتي». اتهم بقتلها شاب حكم عليه بالإعدام شنقًا، قدم المخبر «هيركيول بوارو» لتقصي الحقائق بشأن جريمة القتل هذه. إن هذه القضية لم تنته بعد، لقد اعتُقل الرجل البريء، ولسوف يُعدم شنقا إذا لم يُوفق السيد «بوارو» في الاهتداء إلى القاتل الحقيقي في الوقت المناسب. إنها قضية مثيرة حقًا.

أخذ «بوارو» يجمع الحقائق، ويتقصى الظروف المحيطة بالقتيلة عن الماضي والحاضر وعلاقة المحيطين بها وصولا إلى دوافع الجريمة، وإثبات براءة المتهم قبل تنفيذ حكم الإعدام فيه.

ثمن الكتاب

البلد	الثمن	البلد	الثمن
لبنان	5000 ل.ل.	قطر	10 ريالات
سوريا	100 ل.س.	عُمان	1.5 ريال
الأردن	1.5 دينار	مصر	10 جنيهات
السعودية	10 ريالات	المغرب	30 درهما
الكويت	1 دينار	ليبيا	5 دنانير
الإمارات	10 دراهم	تونس	4 دنانير
البحرين	1.5 دينار	اليمن	400 ريال

ISBN 9953384010
9 789953 384016


أخطاء القضاء

- 3 -

بونـارد الأسطه

يقدّم

الرواية المعرّبة

أخطاء القضاء

(03)

تاليف الكاتبة والأديبة العالمية

أجاثا كريستي

تعريب الأديب الراحل

عمر عبد العزيز أمين

الناشر

دار ميوزيك للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع ش. م. م

الإدارة العامة والتوزيع

تليفون 666 212 9 961 00 فاكس 665 212 9 961 00

ص.ب 374 جونيه – لبنان

www.inter-press.org Email:info@inter-press.org

وكلاء التوزيع

المركز الدولي – دار البشير

قام بعون الله الأساتذة / **أماني أحمد الجارح - أحمد عوض وإبراهيم فرحات**

مشكورين بمراجعة هذا الكتاب وتدقيقه وتصويب أخطائه اللغوية والمطبعية.

الاسم الأصلي للرواية

Mrs, McGinty's Dead

(1952)

الغلاف بريشة الفنان

هبة عنايت

الفصل الأول

استقل "**بوارو**" المصعد إلى الطابق الثالث حيث يقع مسكنه الفاخر محكم التنظيم والإعداد... وفتح الباب، وخطا إلى البهو الأبيض، حيث وجد خادمه "**چورچ**" يهرع لاستقباله، قائلا:

– طاب مساؤك يا سيدي، هناك سيد في انتظارك.

– حقا..؟ وماذا يُدعى..؟

– السيد "**سبنس**" يا سيدي.

ولم يعن هذا الاسم شيئا لديه، وبعد أن وقف لحظة أمام المرآة؛ ليلقي نظرة أخيرة على هندامه، فتح باب غرفة الاستقبال، فنهض الرجل الذي كان في انتظاره قائلا:

– السيد "**بوارو**"، أرجو ألا تكون قد نسيت لقاءنا السابق منذ فترة طويلة.. "**سبنس**"، مفتش الشرطة.

وصافحه "**بوارو**" مرحبا به وهو يقول:

– طبعا.. طبعا.

– إنه مفتش الشرطة "**سبنس**"، من قوة بوليس "**كيلشستر**". لقد كانت قضية مشوقة... ومنذ فترة طويلة على حد قول "**سبنس**".

قال يحدث الزائر:

– جميل منك أن تفكر في زيارتي. من أين أنت قادم؟

– من "**كيلشستر**". سوف أتقاعد بعد حوالي ستة أشهر. والواقع أنني كنت سأتقاعد منذ ثمانية عشر شهرا، ولكنهم سألوني أن أواصل العمل.

– هذا أفضل.. لقد أحسنت صنعا.. لا يمكنني أن أصف لك ساعات الملل في حياة التقاعد.

– مهما يكن من أمر، فحياة التقاعد أمر لابد منه، وسوف يكون عندي الكثير لأفعله حين أتقاعد، ولكني لم أجئ للحديث عن هذا.

– تماما.. تماما.. آه أعلم أنك ما جئت إلا لزيارة صديق، ولغرض آخر أيضا.

- لقد قدمت لزيارتك بشأن قضية "**ماك جنتي**"، ربما تكون قد قرأت عنها.

- قرأت ما كتب عنها بصورة عابرة، وفهمت مما قرأت أن السيدة "**ماك جنتي**" امرأة عجوز، كانت تعمل في متجر أو منزل ثم قضت نحبها.. فكيف كانت وفاتها؟

فحملق "**سبنس**" إلى وجهه قائلا:

- رباه..! إن سؤالك يعود بي إلى الماضي.. ومن العجيب أن هذا لم يدر بخلدي قبل اليوم.

- ماذا تعني؟

- لا شيء. مجرد لعبة. لعبة أطفال كنا نمارسها ونحن صغار. كنا نقف صفا واحدا. ويدور سؤال يعقبه جواب بين الجمع المصطف السيدة "**ماك جنتي**".

كيف ماتت؟ جاثية على إحدى ركبتيها كما أفعل، ثم يأتي السؤال الثاني السيدة "**ماك جنتي**" ماتت. كيف ماتت؟ هكذا، ثم تهوي اللطمة، ويتهاوى الصف كحزمة واحدة! لقد أثرت ذكرياتي.

واستغرق "**سبنس**" في الضحك، وأطرق "**بوارو**" تأدبا. وكانت هذه اللحظة من تلك اللحظات التي يعتقد فيها أن الإنجليز قوم غريبو الأطوار، رغم أنه أقام بينهم نصف عمره، ففيم هذه الاستعادة، في هذه اللحظة بالذات لذكريات الطفولة.

وكرر "**بوارو**" سؤاله:

- كيف ماتت؟

- لقد ضُربت على مؤخرة رأسها بأداة حادة ثقيلة، وسُرقت مدخراتها التي تبلغ ثلاثين جنيها، وكانت تقيم في كوخ صغير، يشاركها فيه ساكن يدعى "**بنتلي**".. "**جيمس بنتلي**".

وكان "**بنتلي**" في حالة ضيق مالي شديد بعد أن فصل من عمله، وكان

مدينا لها بإيجار شهرين. وقد عثر على النقود المسروقة مخبأة تحت حجر خلف الكوخ، ووجد بكم معطف "**بنتلي**" آثار دماء وبقايا شعر- واتضح أن الدماء من نفس فصيلة دم القتيلة والشعر مطابق لخصلات شعرها.

- ومن الذي اكتشف الجريمة؟

- مورد الخبز. وكان "**جيمس بنتلي**" قد فعح له الباب، وقال إنه طرق باب غرفة نوم السيدة "**ماك جنتي**"، ولكنها لم تجب، ورأى الخباز أنها ربما كانت مريضة. واستدعيا جارة لها؛ لتتبين حقيقة الأمر. ولم تكن السيدة "**ماك جنتي**" في غرفتها، واتضح أنها لم تقض ليلتها في فراشها، غير أن الغرفة كانت في وضع يدل على ما تعرضت له من تنقيب وسلب، ثم رأوا أن يبحثوا عنها في الردهة، حيث عثروا عليها مسجاة فوق الأرض، وبعد ذلك اتصلوا بالشرطة.

- وكان أن قبضوا على "**بنتلي**" ثم قدم للمحاكمة..

- أجل، وانتهت المحاكمة بالأمس، وصدر الحكم صباح اليوم بالإعدام، بعد أن قرر المحلفون إدانته.

- وبعد صدور الحكم قررت القدوم لزيارتي.. فلماذا؟

- لأنني أعتقد أنه لم يرتكب الجريمة.

الفصل الثاني

وران عليهما الصمت لحظة، ثم قال "**بوارو**":

- ولهذا قدمت لزيارتي...

ولكنه لم يستطرد في حديثه؛ لأن "**سبنس**" قاطعه قائلا:

- لقد قضيت في عملي فترة طويلة، وكانت لي في هذه الفترة عدة تجارب، أتاح الأمر لي أن أحكم على الناس حكما صحيحا لا يخطئ. ولقد قمت بتقصي الحقائق في عدة قضايا قتل كان منها البين الواضح، وكان منها قضايا استغلق علينا فهمها، وعجزنا عن إماطة اللثام عن سرها، لولا معاونتك

التي سهلت لنا سبيل التوفيق في كشف النقاب عن غموضها. غير أن هذه القضية لم تكن غامضة، منذ أن اكتشفت جريمتها تشير جميع الأدلة إلى أنه اقترف الجريمة، ولم يستغرق المحلفون أكثر من عشرين دقيقة لإصدار قرارهم. ومع ذلك فلم يسبق لي- إبان فترة خدمتي الطويلة- أن شاهدت رجلا بريئا يشنق لجريمة لم يرتكبها، ولا أريد أن أشاهد ذلك الآن يا سيد "**بوارو**".

وعاد السكون ليخيِّم من جديد على الغرفة، وأطرق الرجلان لحظة، ثم رفع "**بوارو**" رأسه وهمَّ بالكلام غير أن "**سبنس**" أدرك من نظراته ما كان يريد أن يقوله فاستوقفه بإيماءة من يده وقال:

– أدرك ما تريد أن تقوله، وسأوفر عليك عناء السؤال. أجل، لقد عهد إليّ بهذه القضية.. وقد عنيت بتقصي الحقائق فيها، وبذلت في سبيل ذلك أقصى ما في وسعي وكانت جميع الأدلة تشير إلى شخص واحد. وقد قام رئيسي بعرض القضية على المدعي العام، الذي قرر إقامة الدعوى؛ إذ لم يكن بوسعه أن يفعل غير هذا، وهكذا صدر الأمر باعتقال "**جيمس بنتلي**" ومحاكمته وإدانته، بناء على ما بين أيدي المسؤولين من أدلة.

– ولكنك لست مقتنعا بذلك، على الرغم من تلك الأدلة.

– نعم.

– على أي أساس..؟

– لست أدري. أعني أنني عاجز عن تقديم سبب قوي لعدم اقتناعي. لقد بدا في نظر المحلفين أنه القاتل- أما في نظري فلم يكن كذلك- وأنا أكثر منهم خبرة بالقتلة والمجرمين.

– إنني لم ألمس فيه غرور القتلة، هذا الغرور الذي يجعلهم يبدون وكأنهم بلغوا من الحذق حدًّا بعيدا أعجز الجميع. أنا خير من يدرك هذا يا سيد "**بوارو**".

– ألم يكن "**جيمس بنتلي**" من هذا الطراز؟

– كلا، لقد كان فزعا متخاذلا منذ البداية، وقد يرى البعض في فزعه

وتخاذله دليلا على إدانته.. أما أنا فلا.

– إني متفق معك. كيف يبدو هذا الرجل؟

– إنه في الثالثة والثلاثين من عمره، متوسط الطول، شاحب البشرة...

– كلا، كلا، لست أعني أوصافه البدنية. من أي طراز هو؟

– إنه عصبي المزاج، يتحاشى مواجهة نظراتك، وإن كان يختلس النظر إذا ما سنحت له الفرصة.. وهو بهذه الصفات وبغيرها يعد أسوأ من يمكن أن يواجه المحلفين. إنه خجول وأبعد ما يكون عن الجرأة.

– يبدو من وصفك له ومن لهجتك أنه رجل لا يجتذب القلوب إليه.

– أجل، أو قل إن صفاته هذه تنفر الناس منه، غير أن هذا لا يبرر بحال أن يعدم شنقا بغير ذنب جناه.

– وهل تعتقد أنه سيعدم..؟

– هذا ما أعتقده. وحتى لو تقدم محاميه بطعن في الحكم، فإن هذا الطعن لن يقوم على سند موضوعي يكفل له النجاح.

– من الذي تولى الدفاع عنه..؟

– لقد انتدب "**جراي بروك**" للدفاع عنه، وبذل هذا المحامي أقصى ما في وسعه في إطار الظروف القانونية والموضوعية التي سردتها عليك.

– يخيل إليّ أن الرجل قد حوكم محاكمة عادلة، وأنه ليس لديه ما يشكو منه.

– ألا يكفي أنه سيعدم شنقا بغير ذنب جناه؟ لقد كنت أنا من قام بالتحقيق في هذه القضية، وبجمع الأدلة التي أدانته، لعلك تقدر مدى ما يستبد بي من مشاعر.

تفرس "**هيركيول بوارو**" في وجه محدثه وقال:

– والآن، ماذا تريد على وجه التحديد..؟

– إن قضية "**بنتلي**" تعد منتهية بالنسبة إليّ، وقد عهد إليّ بقضية أخرى ويجب أن أعود إلى "**اسكتلندا**" الليلة، ولم يكن ثمة سبيل أمامي سوى أن

ألجأ إليك. إنك رجل لا يقيدك شيء، والأمر مختلف بالنسبة إليك، فقد توفق فيما أخفقت أنا فيه؛ لأن لك أسلوبا خاصا. فقاطعه "**بوارو**" قائلا:

- لا تحاول إغرائي بمزيد من الإطراء. إنك صديق قديم، ولست أرضى بأن ينغّص عليك حياتك خاطر يقضّ مضجعك، هذا علاوة على أن الرجل الذي لم يرتكب جريمة قتل، يجب ألا يعدم شنقا.

وبعد أن تردد قليلا، استطرد قائلا:

- ولكن لنفترض أنه القاتل فعلا؟

- حينئذ أكون شاكرا لك إقناعي بما يريح ضميري.

- فليكن، ولنبدأ فورا؛ لضيق الوقت. متى وقع الحادث..؟

- في 22 من نوفمبر (تشرين الثاني) الماضي. ولقد احتفظت بما دونته من مذكرات عن هذه القضية.

- حسنا. إننا بحاجة مؤقتا إلى استعراض الوقائع الأساسية، فإذا لم يكن "**جيمس بنتلي**" هو القاتل، فمن عساه أن يكون..؟

- لست أدري.

- هذا ما لا يجب أن نسلم به. إن لكل جريمة دافعا، وفي جريمة مقتل السيدة "**ماك جنتي**"، ماذا يمكن أن يكون الدافع؟ الحقد، أم الانتقام، أم الحسد، أم الخوف، أم المال؟ فلنأخذ الدافع الأخير في الاعتبار، فمن الذي استفاد من موتها؟

- كان كل ما لديها في صندوق الادخار في البنك مائتي جنيه، وسترث هذا المبلغ ابنة أخيها.

- إن مائتي جنيه ليست بالمبلغ الكبير، وإن كان له قيمة في بعض الظروف. هلا حدثتني بأمر ابنة الأخ هذه.

- إنها تبلغ الثامنة والعشرين من العمر، ومتزوجة من رجل يقوم بأعمال الزخرفة، وهو شخص متزن، مستقيم، موفق في عمله. أما هي فامرأة خفيفة الظل، ثرثارة، تحب عمتها، ولم يكن الاثنان في حاجة إلى هذا المبلغ. أما

الكوخ فكانت السيدة "**ماك جنتي**" تستأجره، وكان الزوجان في غنى عنه؛ لأنهما سعيدان في بيتهما العصري الذي يقيمان به.

– حسنا. والآن حدثني عن السيدة "**ماك جنتي**" نفسها.

– كانت امرأة في الرابعة والستين. أرملة، تُوفِّي زوجها منذ سبع سنوات إثر إصابته بالتهاب رئوي، وبعد وفاته عملت السيدة "**ماك جنتي**" في بعض المنازل في "**برودهيني**"، وهي قرية صغيرة تصلها بـ "**كيلشستر**" سيارات الأوتوبيس والقطارات.

وتبعد عن "**كالنكاي**" المصيف المعروف، بحوالي ثمانية أميال، وكان كوخ السيدة "**ماك جنتي**" أحد أربعة أكواخ في القرية، يشغلها البريد ومتجر القرية، ويقيم العمال الزراعيون في الاثنين الآخرين. وبعد وفاة زوجها أقام معها بعض السكان من الباطن، وكان آخرهم "**جيمس بنتلي**" الذي أقام معها بضعة أشهر.

– وها نحن نصل إلى "**جيمس بنتلي**" أخيرا.

– كان "**جيمس بنتلي**" يعمل مع سمسار عقارات في "**كيلشستر**"، وكان قبل ذلك يقيم مع والدته في "**كالنكاي**"، وكان يقوم على العناية بها؛ لظروف مرضها. ثم حدث أن تُوفيت، فباع البيت الصغير وبحث عن عمل.. وأخيرا التحق بشركة "**بريدر وسكاتل**"، وهي شركة متواضعة. ويبدو أنه لم يكن كفئا، فاستغنت الشركة عن خدماته، ولم يوفق في الالتحاق بعمل آخر، ونفدت نقوده، وكان يدفع أجر غرفته للسيدة "**ماك جنتي**" بانتظام، وكانت تقدم له طعام الإفطار وطعام العشاء في مقابل ثلاثة جنيهات أسبوعيا، غير أنه توقف عن سداد الإيجار طوال الشهرين الأخيرين؛ لنفاد موارده.

– وهل كان يعلم باحتفاظها بمبلغ الثلاثين جنيها في البيت؟ ولماذا كانت تحتفظ بهذا المبلغ في منزلها، بينما كان لها حساب ادخار في البنك؟

– لأنها كانت لا تثق بالبنوك، وكانت تقول حسبهم المائتا جنيه، وأن ما زاد على ذلك ستحتفظ به في منزلها. وقد سمع هذا منها بعض الجيران. وكانت

تضع المبلغ تحت لوح من الخشب في غرفة نومها، وقد اعترف "**جيمس بنتلي**" بأنه كان يعلم بوجود المبلغ في مكانه هذا.

– وهل كانت ابنة أخيها وزوجها يعلمان بهذا أيضا؟

– أجل.

– والآن، فلنعد إلى سؤالي الأول. كيف ماتت السيدة "**ماك جنتي**"..؟

– قرر الطبيب الشرعي أن الوفاة كانت فيما بين الساعة السابعة والعاشرة من مساء يوم 22 نوفمبر (تشرين الثاني)، وكانت قد تناولت طعام العشاء في حوالي الساعة السادسة والنصف كعادتها. ويرجح الطبيب أن الوفاة كانت على وجه التحديد، بين الساعة الثامنة والنصف والتاسعة مساء. وقد قرر "**جيمس بنتلي**" أنه كان يقوم بجولة في الخارج من الساعة السابعة والربع إلى قبيل التاسعة، كعادته كل مساء. وقال إنه اتجه رأسا إلى غرفته بالطابق الأعلى، وبعد أن أمضى نصف ساعة في القراءة، أوى إلى فراشه، وفي صباح اليوم التالي، هبط إلى المطبخ حيث لم يجد ما كان يألفه من اهتمام السيدة "**ماك جنتي**" بإعداد طعام الإفطار. وقال إنه بعد برهة تردد، طرق باب غرفة السيدة "**ماك جنتي**"، دون أن يجيبه أحد، وتبادر إلى ذهنه أنها ربما كانت مستغرقة في النوم، وآثر ألا يواصل الطرق على بابها، ثم كان أن قدم الخباز، فصعد "**بنتلي**" إلى غرفة السيدة "**ماك جنتي**" ليطرق الباب ثانية، إلى آخر ما سبق أن سردته عليك. ومما هو جدير بالذكر، أنه لم يثبت من المعاينة أن أحدا اقتحم المنزل بالقوة.

– وبناء على ذلك، يكون القاتل أحد اثنين– "**جيمس بنتلي**"، أو آخر فتحت له السيدة "**ماك جنتي**" الباب بينما كان "**بنتلي**" في الخارج..؟

– تماما، ولابد أن يكون القاتل شخصية معروفة لديها، من الجيران أو الأقارب. أما عن ابنة أخيها وزوجها، فقد كانا بإحدى دور السينما في تلك الليلة، ولا يستبعد أن واحدا منهما غادر السينما خلسة، وقطع مسافة ثلاثة أميال على دراجة، وبعد أن قتل المجني عليها، وأخفى النقود خارج الكوخ،

عاد أدراجه إلى السينما دون أن يشعر به أحد أثناء العودة وقد بحثنا هذا الاحتمال، وإن كنا لم نجد ما يؤيده، وتساءلنا عن السبب في إخفاء النقود بجوار الكوخ بدلا من إخفائها في مكان آخر على امتداد ثلاثة أميال؟ إن التعليل الوحيد لذلك هو..

فانبرى "**بوارو**" يتم الجملة نيابة عنه:

– أن القاتل يجب أن يكون مقيما في الكوخ، ولا يريد أن يخفي النقود في غرفته أو في مكان آخر بعيد، أي أنه يجب أن يكون: "**جيمس بنتلي**" .

– إنك أينما تدير وجهك، تجد "**بنتلي**" أمامك. ثم لا تنس آثار الدماء التي وجدت بكم معطفه.

– وماذا قال في تبرير ذلك..؟

– قال إنها نتيجة لاحتكاكه بحانوت قصاب في اليوم السابق. علما بأن الدماء كانت دماء آدمية.

– وهل ظل ملتزما بهذه القصة..؟

– كلا. لقد عدل عنها في المحكمة. فقد كان مع الدم بعض الشعيرات الملتصقة بالكم، واتضح أن هذه الشعيرات مطابقة لخصلات شعر السيدة "**ماك جنتي**"، وكان عليه بعد مواجهته بهذه الحقائق أن يوضح السبب في التصاقها بكمه، فاعترف بأنه كان قد دخل إلى الغرفة عقب عودته من جولته، وذلك بعد أن طرق الباب عدة مرات، وأنه وجدها مسجاة فوق أرض الغرفة، وأنه حاول أن يستوثق بوفاتها.. فما إن اقترب منها حتى أثاره منظر الدماء، وهرع إلى غرفته منهارا حيث فقد وعيه، وفي الصباح، لم يقو على الاعتراف بما حدث.

– يا لها من قصة تثير الشكوك!

– ومع ذلك فلماذا لا تكون هذه هي الحقيقة..؟

– صحيح إنها قصة لا يمكن تصديقها. غير أنني التقيت بأناس من هذا الطراز، ممن يرتج عليهم القول عندما يواجهون بالواقع، أو يسقط في أيديهم

إزاء حادث مثل هذا ولا يستطيعون حراكا، فلا يقومون بما يقوم به غيرهم من الاتصال بالجيران أو الشرطة، ويرون أنه من الخير لهم تجاهل ما قادتهم المصادفة إلى مشاهدته.. فينأون بأنفسهم عن موطن الشبهات، وكأن شيئا لم يكن... هذا هو تصويري لما حدث.

وراح "**سبنس**" يتأمل "**بوارو**" الذي كان مستغرقا في التفكير، مقطب الجبين، ولاذ كل من الرجلين بالصمت برهة.

الفصل الثالث

وأخيرا، قال "**بوارو**":

– لننتقل الآن إلى بحث نظريات أخرى. هل كان للسيدة "**ماك جنتي**" أعداء؟ وهل كانت تخشى أحدا؟

– لم نستدل على شيء من ذلك.

– وما أقوال جيرانها؟

– ليس فيها ما يغني، ولا أعتقد أنهم يخفون شيئا. ولقد قالوا إنها كانت منطوية على نفسها، وليس لها أصدقاء مقربون.

– منذ متى أقامت في تلك القرية؟

– منذ عشرين عاما تقريبا..؟

– وماذا عن حياتها قبل ذلك؟

– إنها ابنة فلاح من شمال "**ديفون**"، وبعد زواجها أقامت في (**الفراكومب**) لفترة ما، ثم انتقلت إلى "**كيلشستر**"، ومنها إلى "**برودهيني**". وكان زوجها رجلا هادئ الطبع، مرهف الحس، محترما، لا يختلط بالناس. ولم يكن في حياتهما سر، أو غموض، أو ما يعاب عليهما.

– ومع ذلك قتلت..؟

– أجل، ومع ذلك قتلت.

– ألا تعرف ابنة الأخ أحدا يكن لعمتها ضغينة أو يحقد عليها؟

– لقد نفت ذلك.

– لعلك متفق معي يا صديقي، على أن هذه القضية من الممكن أن تكون أيسر سبيلا لو لم تكن السيدة "**ماك جنتي**" هي السيدة "**ماك جنتي**"؟ أي لو كانت امرأة لها ماض.

– وهذا ما لا يمكن أن يقال عنها. إنها لم تكن بأكثر من السيدة "**ماك جنتي**"، المرأة غير المتعلمة، التي تؤجر غرفة في منزلها، شأنها شأن غيرها من بعض نساء "**إنجلترا**".

– لنعد إلى استعراض الوقائع... امرأة عجوز قتلت، ورجل خجول متخاذل يقبض عليه ويدان بجريمة قتلها، فلماذا ألقي القبض على "**جيمس بنتلي**"؟

– بسبب الأدلة التي اجتمعت ضده.. لقد تحدثت إليك بهذا.

– أجل. ولكن أخبرني يا صديقي العزيز، أكانت أدلة حقيقية أم مفتعلة؟

– مفتعلة..؟

– أجل؛ لأننا إذا ما سلمنا ببراءة "**بنتلي**"، كان أمامنا احتمالان: أن تكون الأدلة مفتعلة بقصد إثارة الشكوك من حوله، أو يكون "**بنتلي**" الضحية التعسة لبعض الظروف والملابسات.

– إنني أدرك ما ترمي إليه.

– هلا حدثتني عن "**جيمس بنتلي**"- عن كل ما تعرفه عنه؟

– لم أعرف عنه الكثير. لقد كان والده طبيبًا- توفي ولم يتجاوز ابنه التاسعة من عمره، وأقام الابن ضعيف البنية مع والدته التي اعتلت صحتها فيما بعد.. هل لديك فكرة معينة واضحة؟

– إنني لم أقتنع بشيء بعد.. ولكنني أرى أن أمامنا خطين واضحين للبحث، وأن علينا أن نقطع برأي فورا فيما يجب أن نتتبعه منهما.

– سيد "**بوارو**"، حدثني بما أنت فاعل على وجه التحديد، وهل يمكن أن أقوم بشيء لمعاونتك..؟

– أولا، أريد أن أجتمع بـ"**بنتلي**".

– سأدبر لك أمر هذا اللقاء، وسأتصل بمحاميه لهذا الغرض.
– بناء على ما أتوصل إليه من نتائج، فسأسافر إلى "**برودهيني**"؛ حيث أستعرض جميع الحقائق التي توصلت أنت إليها. لعليّ أتبين جديدا. إن ردود الفعل تختلف من إنسان لآخر، هل يمكن أن أجد في "**برودهيني**" فندقا مناسبا؟
– يوجد في المنطقة فنادق لا بأس بها، كما يوجد في "**برودهيني**" ما يشبه البنسيون، حيث يستقبل صاحباه- الزوجان الشابان- الضيوف نظير أجر معين.
– مهما يكن من أمر، فيجب أن أعد نفسي لجميع الاحتمالات.
– وهل ستعلن عن حقيقة شخصيتك؟
– بكل تأكيد. إذ ليس لدينا متسع من الوقت، سأعلن على الملأ أنني "**هيركيول** "**بوارو**"، نابغة البحث والتحري والكشف عن أسرار الجرائم، وسوف ألمح إلى أنني أعرف أشياء كثيرة، وأردد أنني غير مقتنع بالحكم في قضية مقتل السيدة "**ماك جنتي**"، وأنني أشك في أن ثمة ملابسات أخرى لهذه القضية، وبعد أن ينتج هذا التصريح أثره، أتابع عن كثب رد الفعل في نفس كل من ألتقي به.
وحدجه "**سبنس**" بنظراته قائلا:
– أرجو ألا تزج بنفسك في مواقف حرجة يا سيد "**بوارو**".

الفصل الرابع

وقف "**بوارو**" يتطلع فيما حوله على مضض، كان كل ما في الغرفة لا يبعث في النفس الشعور بالراحة.
كانت الغرفة فسيحة، سيئة الزخرفة، متهالكة الأثاث. وكانت إحدى نوافذها مفتوحة وبابها لا يمكن إحكام إغلاقه، وكان يفتح على مصراعيه مع كل هبة ريح. وقال "**بوارو**" يحدث نفسه: «لشد ما أعاني... لشد ما

أعاني».

وفتح الباب، ومع الريح أقبلت السيدة "**سمر هايز**"، وراحت تدور بعينيها فيما حولها. كانت سمراء الشعر، غير جذابة الوجه، كثيرة الحركة، وكانت تحمل بين يديها وعاء كبيرا.. قالت:

– هل تأذن لي بتقليب الفول هنا..؟

– سيدتي، هذا من دواعي سروري.

ولم يكن سروره لأنها ستتخذ من غرفته مطبخا؛ بل كان سروره لهذه الفرصة التي أتيحت له لتبادل الحديث مع أحد بعد أربع وعشرين ساعة من قدومه إلى "**برودهيني**".

وألقت السيدة "**سمر هايز**". بنفسها فوق أحد المقاعد، وقالت له وهي مكبة على ما بين يديها:

– أرجو أن أوفق في العمل على راحتك، كما أرجو أن تبدي لي ما يعن لك من رغبات وملاحظات.

– شكرا لك يا سيدتي، لكم كان بودي أن أزودك بما يناسبك من خدم.

– خدم! إن هذا يكاد يكون متعذرا بعد مقتل...

– لعلك تعنين السيدة "**ماك جنتي**"؟

– أجل. هذا من سوء حظي! إنها لا تعوض.

– هل كنت وثيقة الصلة بها؟

– كنت أعول عليها في أشياء كثيرة. فقد كانت تحضر يوم الاثنين مساء والخميس صباحا، بانتظام، والآن تقوم على خدمتنا هذه المرأة التي من ناحية المحطة، وهي متزوجة ولها خمسة أطفال، وطبيعي ألا تنتظم في مواعيدها؛ لكثرة أعبائها العائلية.

– وهل كنت تولين السيدة "**ماك جنتي**" ثقتك المطلقة..؟

– كل الثقة؛ لفرط أمانتها، وكانت المسكينة تشقى كثيرا.

وظهر وجه الميجور "**سمرهايز**" في النافذة، وأسرعت السيدة "**سمر هايز**"

بالنهوض عن مقعدها، وهرعت إلى النافذة وفتحتها على مصراعيها. فقال زوجها:

– "**مورين**"، لقد التهم هذا الكلب اللعين طعام الدجاج.

وعلى الفور خرجت "**مورين**" للحاق بزوجها، وأسرع "**بوارو**" بإغلاق النافذة، ولكنه سمع صوت الزوج يقول لزوجته:

– ما رأيك في هذا الساكن الجديد؟ إنه يبدو غريب الأطوار. ما اسمه؟ لقد نسيته.

– لا أذكر من اسمه سوى كلمة "**بوارو**". إنه فرنسي.

– يخيل إليّ أنني سمعت بهذا الاسم من قبل، ومهما يكن من أمر، فمن الخير أن تقتضي منه الأجر مقدما.

ولم يسمع "**بوارو**" شيئا بعد ذلك، وراح يلتقط حبات الفول التي سقطت من السيدة "**سمر هايز**" حين نهضت مسرعة، وما إن فرغ من ذلك حتى أبصرها مقبلة. قدم إليها ما التقطه في أدب جم، وشكرت له السيدة "**سمر هايز**" صنيعه، واستأذنها في إغلاق الباب، فاعتذرت له عن إهمالها، وعن سوء حالة البيت القديم، وقالت موضحة:

– لقد ورثه زوجي عن والديه، وعند عودتنا من "**الهند**" أقمنا به ولم نجر به أي إصلاح؛ نظرا لحالتنا المالية السيئة، ولولا ما نقتضيه من النزلاء من أجر، لكانت حالتنا المالية أكثر سوءا.

– وهل ترينني النزيل الوحيد في الوقت الحاضر؟

– توجد سيدة متقدمة في السن بالطابق الأعلى، وقد لزمت فراشها منذ قدومها، وإن كنت أرى أن حالتها الصحية لا تستدعي ذلك. إنها راحلة غدا إلى إحدى قريباتها.. وبهذه المناسبة، هل لديك مانع من دفع إيجار الأسبوع مقدما؛ لأن متعهد الأسماك قادم بعد قليل. إنك ستقيم معنا أسبوعا، أليس كذلك؟

– ربما أكثر.

– آسفة لمضايقتك. وقد اضطررت إلى ذلك؛ لأنني لا أمتلك نقودا تفي بسداد المطلوب مني، وأنت أدرى بهؤلاء القوم.

– أرجو ألا تعتذري، وسأزيدك إيضاحا عن شخصيتي. إنني "**هيركيول بوارو**".

ولم يبد على السيدة "**سمر هايز**" أن الكشف عن شخصيته قد أنتج أثره المرتقب. قالت:

– يا له من اسم جميل! أنت يوناني، أليس كذلك؟

– إنني شرطي سرّي، ربما كنت أكثر الشرطة السرّيين شهرة. فقالت السيدة "**سمر هايز**" في دهشة:

– لا شك في أنك تمزح. عن أي شيء جئت تتحرّى؟ رماد سيجارة أم آثار أقدام؟

– جئت أتقصّى الحقائق في مقتل السيدة "**ماك جنتي**" ولست بالهازل.

– هل تعني ما تقول حقا؟ لقد انتهى التحقيق في هذه القضية، وأسفر عن اتهام ذلك الساكن التعس ومحاكمته وإدانته، وربما يكون قد نفذ فيه حكم الإعدام شنقا.

– كلا يا سيدتي. إن حكم الإعدام لم ينفذ بعد. كما أن قضية مقتل السيدة "**ماك جنتي**" لم تنته فصولها... وبهذه المناسبة، إنني لن أتناول طعام الغداء هنا اليوم.

الفصل الخامس

– لست على علم بهذا فحسب، بل إنني جد واثقة.

هذا ما رددته السيدة "**ماك بورك**" أكثر من مرة، وكانت عدم ثقتها بهذا الرجل الأجنبي، ذي الشارب الأسود، الذي يرتدي هذا المعطف المحلى بالفراء، هي التي حدت بها إلى التصريح بهذا في لهجة قاطعة، واستطردت قائلة:

– لم يكن مقتل عمتي وما أعقبه من أسئلة رجال الشرطة وتحرياتهم بالأمر

الهين، لقد كان هذا الحادث مصدر إزعاج كبير لنا، وكنت أعتقد أن كل شيء قد انتهى وولى.

– هبي بعد كل ما جرى أن "**جيمس بنتلي**" بريء.

– هراء. إنه مرتكب هذه الجريمة دون أدنى شك. إن نظراته كانت تكشف عن جرمه، ولقد نصحت عمتي بأنها ما كان ينبغي أن تقبله ساكنا في بيتها. إنني لم أطمئن إليه منذ رأيته يطوف في البيت ويتمتم بكلام غير مفهوم.

وتطلع إليها "**بوارو**" مليًّا.

كانت امرأة بدينة، موفورة الصحة. وكان منزلها الصغير نظيفا، أنيقا تفوح منه رائحة طلاء الأثاث الجديد. كما اشتم رائحة الشواء المثير للشهية تنساب من المطبخ، ورأى فيها "**بوارو**" الزوجة المثالية التي تعنى بنظافة بيتها وبإعداد طعام شهي لزوجها. لا المرأة التي تجترئ على قتل عمتها أو تتآمر مع زوجها على هذا. وأقر "**بوارو**" وجهة نظر "**سبنس**" بالنسبة لاستبعاد آل "**بورك**" من قائمة الاتهام، وراح يستفسر منها عن جميع ظروف عمتها وأحوالها، وأثناء استماعه إليها أدرك أنها لا تعرف الكثير عن عمتها، وأن الروابط العائلية لم تكن وثيقة بين أفراد الأسرة، وأنهم كانوا لا يتزاورون إلا قليلا. وعرف فيما عرف أن السيدة "**ماك جنتي**" كانت تحب القطط ولا تحب الكلاب، وتحب الأطفال، ولكن بقدر ضئيل، وأنها كانت منطوية على نفسها. تؤم الكنيسة كل يوم أحد، ولا تشترك في أي نشاط ديني، ولم تكن تتردد على دور السينما أو تقرأ الكتب، وإن كانت تطلع على بعض الصحف والمجلات. صفوة القول، إن السيدة "**ماك جنتي**" بكل ما سمعه عنها "**بوارو**" كانت صورة طبق الأصل من السيدة "**ماك جنتي**" التي رسمها في خياله. كما كانت "**بيسي بورك**" ابنة أخيها، هي "**بيسي بورك**" التي وصفها المفتش "**سبنس**" في مذكراته.

وقبل أن يستأذن "**بوارو**" في الانصراف، كان "**چو بورك**" قد عاد إلى منزله لتناول طعام الغداء. كان رجلا قصير القامة لا يبعث الثقة في النفس، عصبي

المزاج، وإن كان قد حرص على أن يكون أكثر تعاونا من زوجته، ولو من الناحية الشكلية، وتبين "**بوارو**" من هذا حرصه على حسن العلاقة بينه وبين رجال الشرطة أو من يتصل بهم، مما يوحي بأن ثمة ما يثقل ضميره، وإن كان ليس من المتعين أن يكون لهذا صلة بمقتل السيدة "**ماك جنتي**". أم لعل لهذا الحرص صلة بمقتل هذه المرأة، ولماذا لا يكون "**چو بورك**" هو الذي تسلل خلسة من السينما وطرق باب العمة وارتكب جريمته، ثم عاد أدراجه إلى مقعده؛ طمعا في مدخرات المرأة في البنك. ولم يكن ما بدا في الغرفة من فوضى سوى ستار للتعمية، ولاتهام "**جيمس بنتلي**". ثم لماذا لم يعثر على السلاح المستعمل في الجريمة؟ لقد قيل إنه آلة ثقيلة بطرف حاد، فهل أخفيت أداة الجريمة لأنه كان من السهل التعرف عليها كقطعة من أدوات منزل آل "**بورك**"؟ أترى هذه الأداة التي تشبه الساطور- على حد وصف الطبيب الشرعي- قد نظفت وطليت، وأعيدت إلى مكانها؟ لقد بحث رجال الشرطة عن هذه الأداة دون أن يوفقوا إلى العثور عليها، أو الاهتداء إلى مصدرها. وتلك إحدى النقاط التي أغفلت، وكان يمكن أن تؤدي إلى نتيجة تعد دليلا في مصلحة "**بنتلي**".

الفصل السادس

- 1 -

أُذن لـ"**بوارو**" بالدخول إلى مكتب السيدة "**سكاتل**"، بشركة ("**بريدر**" و "**سكاتل**").

واستقبل السيد "**سكاتل**" "**بوارو**" قائلا:

- طاب صباحك يا سيدي.. هل من خدمة نؤديها؟

وصعَّد "**بوارو**" بعينيه، وكأنه يحاول تقييمه، ورأى فيه رجلا أجنبيا، يرتدي أفخر الثياب، بما يدل على ثرائه. قال "**بوارو**":

- أرجو ألا أستغرق من وقتك كثيرا. لقد جئت لأتحدث إليك عن الموظف

السابق "**جيمس بنتلي**".

"**جيمس بنتلي**". "**جيمس بنتلي**"؟ أتراك صحفيا؟

– كلا.

– ولا شرطيا..؟

– كلا، على الأقل لست من رجال شرطة هذه البلاد.

– وماذا تريد على وجه التحديد؟

– إنني أعيد التحري عن وقائع قضية "**جيمس بنتلي**"– بناء على طلب بعض أقاربه.

– لم أعرف أن له أقارب. دعنا من هذا. لقد ثبتت إدانته كما تعرف، وحكم عليه بالموت شنقا.

– ولكن الحكم لم ينفذ بعد.

– بما يعني أن ثمة أملا، ومع ذلك فإنني ضعيف الأمل؛ لأن الأدلة كانت قوية ضده.

– من هم أقاربه الذين عهدوا إليك بإعادة تقصي حقائق القضية؟

– ليس في وسعي أن أقول لك أكثر من أنهم من الأثرياء ذوي النفوذ.

– إنك تثير دهشتي. إن ما سمعته الآن مفاجأة غير متوقعة.

– لقد عمدت والدة "**بنتلي**" إبان حياتها إلى ما أدى إلى القطيعة بين ابنها وبين أسرتها.

– مما يؤسف له أن هؤلاء الأقارب لم يخفُّوا إلى نجدته من قبل.

– إنهم لم يعلموا بما حدث إلا أخيرا. ولقد سألوني أن أسرع إلى هنا وأن أبذل أقصى ما في وسعي.

فاضطجع السيد "**سكاتل**" في مقعده قائلا:

– لست أدري ماذا بوسعك أن تفعل؟

– سيدي، لقد كان "**جيمس بنتلي**" يعمل هنا، ويمكنك أن تحدثني عنه قليلا.

– القليل الذي لا غناء فيه. لقد كان أحد صغار موظفينا، وليس لدينا شيء ضده. وكان شابا وديعا، ولكنه لم يكن كفئا في عمله. وعملنا هو بيع وشراء البيوت والعقارات.. ولقد كان استعداده لمزاولة هذا العمل ضعيفا.

– ما الانطباع الذي خلفه "**جيمس بنتلي**" في نفسك؟ هل تعتقد أنه قتل المرأة العجوز؟

فحملق "**سكاتل**" إليه بعينيه قائلا:

– بكل تأكيد.

– وهل تعتقد أنه الرجل الذي يقدم على مثل هذه الجريمة، أقصد من ناحية استعداده نفسيا؟

– في حدود سؤالك بهذه الصيغة: كلا.

– هل كانت لديك أسباب خاصة لفصله من العمل؟

– كلا. فقد كانت حالة العمل سيئة، مما ترتب عليه ضرورة الاستغناء عن خدمات أحد الموظفين. ولما كان "**بنتلي**" الأقل كفاءة، فقد وقع الاختيار عليه، وعلمت بأنه لم يلتحق بعمل آخر؛ وهذا لأنه لم يكن يلقى قبولا ممن يلتقون به.

ودار بخلد "**بوارو**" وهو في طريقه بعد مغادرة الشركة، أن "**جيمس بنتلي**" سيئ الحظ فيما يخلفه من أثر في نفس كل من يعرفه.

- 2 -

– معذرة، هل تأذن لي بالجلوس للتحدث إليك؟

وكان "**بوارو**" جالسا إلى مائدة صغيرة في مطعم "**بلوكات**"، وكان عاكفا على دراسة قائمة الطعام حين فوجئ بهذا السؤال. فراح يتأمل الفتاة التي جلست قبالته، لتشاركه مائدته. وكانت ذهبية الشعر، ترتدي ثوبا أنيقا مغريا، وتبادر إلى ذهن "**بوارو**" أنه رأى هذه الفتاة من قبل. واستطردت الفتاة قائلة:

– لقد سمعت بعض ما تحدثت به إلى السيد "**سكاتل**" .

وأومأ "**بوارو**" برأسه. إن الأوضاع في مكاتب الشركة لم تراع فيها السرية التامة؛ لأن العمل لم يكن يقتضي هذا. وعقب قائلا:

– لقد رأيتك جالسة إلى الآلة الكاتبة، بجوار النافذة الخلفية.

فأومأت برأسها وقد انفرجت شفتاها عن ابتسامة مثيرة، وتأملها "**بوارو**" في إعجاب وتقدير لجمالها، وسمعها تقول:

– بشأن السيد "**بنتلي**" .

– وماذا عن السيد "**بنتلي**" ..؟

– هل سيستأنف الحكم؟ وهل يعني هذا أن ثمة أدلة جديدة؟ لئن صح هذا، لسررت أيما سرور؛ لأنني لا أصدق أنه ارتكب ما نسب إليه.

– إذن، فقد كنت مقتنعة دائما ببراءته؟

– لم يكن هذا لأول وهلة، على الرغم من إحساسي بأن ثمة خطأ ما، ولكن الأدلة كانت قوية، فتبادر إلى ذهني أنه ربما قد أصيب بلوثة.

– هل كنت ترين فيه شابا غريب الأطوار..؟

– كلا. كل ما في الأمر أنه كان خجولا منطويا على نفسه، ضعيف الثقة بالناس وبنفسه.

وعاد "**بوارو**" يتأملها، وبادرها بسؤاله:

– هل كنت معجبة به؟

– أجل. وكانت زميلتي "**آمي**" تسخر منه، وكنت أخالفها في الرأي، وأعجب به كشاب رقيق ومؤدب. وشعرت بأنه يفتقد والدته التي ظلت مريضة فترة طويلة من حياتها، وكان قد بذل أقصى ما في وسعه للعناية بها ورعايتها.

– هل كنتما صديقين..؟

– لست أدري. كنا نتجاذب أطراف الحديث أحيانا، غير أننا بعد فصله من الشركة لم نكن نلتقي كثيرا.

– ولكنك مازلت معجبة به..؟

– أجل، هذا هو الواقع...

وعادت بـ"**بوارو**" الذاكرة إلى يوم زيارته للسجين المحكوم عليه بالإعدام– وكان قد أتيح له في هذا اللقاء أن يتأمله جيدا– وأدرك من كل شيء فيه السر فيما يخلفه من طابع سيئ في نفس كل من يلقاه. غير أنه لم يخلف هذا الأثر في نفس المفتش "**سبنس**"، الخبير بالرجال، ولا في نفس "**هيركيول بوارو**"... وها هي هذه الفتاة بدورها لم تتأثر بما تأثر به الناس.

– ما اسمك يا آنستي..؟

– "**مود وليامز**". هل ثمة ما يمكن أن أقوم به..؟

– أجل، هذا ما أعتقده. ثمة من يؤمن ببراءة "**جيمس بنتلي**".. وهم جادون في إثبات ذلك، ولقد عهدوا إليّ بتقصي حقائق هذه القضية على أساس جديد، ولقد أحرزت تقدما لا بأس به في هذا المجال.

ولم يرتج عليه القول أو يتلعثم وهو يلقي بهذه الأكذوبة، وهي أكذوبة بيضاء لا ضير منها. إن "**مود وليامز**" سوف تتحدث بما سمعت، وسوف يصل حديثها إلى مسامع من يجب أن يتأثروا به. ثم استطرد قائلا:

– قلت إنكما كنتما تتجاذبان أطراف الحديث، فهل قال لك يوما إنه، أو والدته كانا على علاقات سيئة بأحد..؟

– كلا، كل ما في الأمر أن والدته لم تكن تحب الفتيات كثيرا.

– إن أمهات البنين الشديدات التعلق بهم، لا يحببن الفتيات عموما.

– كلا، كلا لست أعني هذه الحالة، إنما أعني الخصومات العائلية أو من يحمل لهما ضغنا.

– كلا، لم أسمع منه شيئا عن هذا.

– ألم يسبق أن حدثك عن السيدة "**ماك جنتي**"؟

– لم يتحدث عنها بالاسم. وكان حديثه عابرا عما تقدمه له أحيانا من طعام، أو عن حزنها لفقد قطتها.

– ألم يذكر لك أنه يعرف أين كانت السيدة "**ماك جنتي**" تخفي نقودها..؟ أرجو أن تصدقيني القول.

فامتقع وجه الفتاة، ثم تمالكت رباطة جأشها قائلة:

– الواقع، أنه فعل ذلك. كنا نتحدث عمن لا يثقون بالبنوك، فقال إن سيدة الدار تحتفظ بنقودها تحت لوح من أرضية غرفتها، ونعى عليها هذا الإهمال.

– حسنا. لئن كان مجرما بالسليقة لما قال لك ذلك، ولو كان قد دار بخلده يوما أن يسرق هذا المبلغ، لما تحدث بأمره إليك. تلك النقطة في صالحه.

وبادرته "**مود وليامز**" مستفسرة:

– مهما يكن من أمر، فإن أحدا ما قتل السيدة "**ماك جنتي**".

– هذا بديهي.

– من عساه أن يكون؟ أليست لديك أية فكرة..؟

– بلى، ولكنني ما زلت في بداية الطريق.

وألقت الفتاة نظرة على ساعة يدها، ثم قالت:

– يجب أن أعود أدراجي الآن، أرجو أن تتصل بي إذا كان ثمة ما أستطيع عمله..

أخرج "**بوارو**" إحدى بطاقاته ودون بها عنوانه بـ"**لونج ميدوز**" ورقم تليفونه واكتشف في أسى، أن اطلاعها على اسمه لم يحدث في نفسها الأثر المرتقب. إن الجيل الجديد قاصر المعلومات، لا يعرف شيئا عن الشخصيات المرموقة.

الفصل السابع

- 1 -

لا يبعد الكوخ الذي كانت تقيم به السيدة "**ماك جنتي**" عن محطة الأوتوبيس سوى بضع خطوات. وكان هناك طفلان يلهوان أمام باب الكوخ، فطرق "**بوارو**" الباب بشدة. وأطلت امرأة من ركن البيت تنهر الطفلين، فلما تبينت أن الطارق زائر، أومأت إليه أن يتجه إلى الباب الخلفي قائلة:

– إنني أحكم رتاج الباب الأمامي.

وخطا "**بوارو**" إلى مطبخ قذر، وسمع المرأة تقول له:

– إنها لم تقتل هنا. لقد قتلت في الردهة. أنا أعرف أنك قادم بشأن هذا الحادث، أليس كذلك؟ إنك السيد الأجنبي المقيم في دار آل "**سمر هايز**"؟

– وهكذا تعرفين كل شيء عني يا سيدة...

– السيدة "**كيدل**". إن زوجي عامل بلاط، ولقد اتخذنا من هذا الكوخ مسكنا منذ أربعة أشهر. هل تريد أن تلقي نظرة على مكان الحادث..؟

– هلم معي لمعاينة الغرف.

وتبعها "**بوارو**" إلى غرفة صغيرة، تبين أنها غير مستعملة إلا كمخزن لبعض قطع الأثاث.

قالت السيدة "**كيدل**":

– كانت مسجاة فوق الأرض وقد انشطر رأسها من الخلف، أما النقود فقد سرقت من الطابق الأعلى.

وارتقت السيدة "**كيدل**" الدرج يتبعها "**بوارو**" إلى غرفة نوم، بها سرير نحاسي كبير، وبعض المقاعد، ومجموعة من ملابس الأطفال، وتطلع "**بوارو**" فيما حوله، قائلا:

– أعتقد أن هذا الأثاث ليس من متعلقات المجني عليها؟

– كلا. لقد تسلمت ابنة أخيها المقيمة في "**كولافون**" كل ما تركته.

إذن، فلم يبق شيء من مخلفات السيدة "**ماك جنتي**"، وها هم آل "**كيدل**" قد غزوا مسكنها. إن الحياة أقوى من الموت.

ورأى "**بوارو**" أنه لا يوجد بالبيت ما يستدعي بقاءه، فغادره إلى المنزل المجاور.

- 2 -

– أجل، يا سيدي، أنا التي عثرت عليها.

قالت هذا السيدة "**اليوت**" في لهجة مسرحية، وكانت سيدة ممشوقة القد،

سوداء الشعر، مزهوة بهذه اللحظة الفريدة في حياتها. واستطردت تحكي قصتها فقالت:

– أقبل "**لاركن**" الخباز يطرق الباب قائلا: إن السيدة "**ماك جنتي**" لا تجيب، ويبدو أنها ليست بخير. وهذا ما تبادر إلى ذهني؛ لأنها امرأة متقدمة في السن، وكنت أعرف أن قلبها ليس على ما يرام فهرعت إلى غرفة نومها، والتقيت بـ"**بنتلي**" في طريقي وكان شاحب الوجه.

وأسرعت بدخول الغرفة لأجدها في حالة شديدة من الفوضى، وأحد ألواح الأرضيةقد نزع من مكانه. أدركت لتوي أن في الأمر سرقة، غير أن السيدة "**ماك جنتي**" لم تكن موجودة. ثم رأينا أن نبحث عنها في قاعة الاستقبال، حيث وجدناها على الأرض وقد شج رأسها، ولم يكن ثمة شك في أننا أمام جريمة قتل! قتل وسرقة! هنا في "**برودهيني**"... فصرخت وتوالى صراخي إلى أن أغمي عليّ.

– متى رأيت السيدة "**ماك جنتي**" لآخر مرة؟

– في اليوم السابق، فيما أظن، حينما كنا بالحديقة الخلفية.

– ألم تحدثك بشيء..؟

– ليس بأكثر من التحية العادية والسؤال عن الأحوال.

ورأى "**بوارو**" أن يفاجئها بسؤاله:

– هل كان اعتقال "**بنتلي**" مفاجأة لك..؟

– نعم ولا.. لقد كنت أرى فيه دائما أنه رجل غير طبيعي، ومن الطراز الذي ينحرف به شذوذه إلى ارتكاب مثل هذه الأفعال. وكان يخلق بهم أن يودعوه مصحة للأمراض العقلية بدلا من تسليمه للجلاد.

ونظرة إلى المكان الذي أخفى به النقود، بحيث يسهل العثور عليها، تدل على مدى تخلفه عقليا، ما لم يكن يبغي بذلك أن يُعثر عليها فعلا.

فردد "**بوارو**":

– ما لم يكن يبغي أن يعثر عليها. ألم تفقدي من أدواتك المنزلية ساطورا

أو بلطة..؟

- كلا. ولقد سألني رجال البوليس عن هذا، كما سألوا جميع الجيران. إن الأداة المستعملة في الجريمة ما زالت سراً غامضاً.

- 3 -

واتجه "**بوارو**" إلى مكتب البريد، وتقدم لشراء بعض الطوابع. هرعت إليه امرأة في متوسط العمر، تشع عيناها ذكاء، فقال يحدث نفسه:

- هنا ذهن قرية "**برودهيني**" المتوقد.

كانت تدعى السيدة "**سويتيمان**" وقد قامت على خدمته في نشاط وترحاب، وكانت تتفرس فيه بعينيها النافذتين، فقال ليرضي فضولها:

- إنني غريب عن هذه المنطقة.

- هذا ما توقعته يا سيدي. إنك قادم من "**لندن**"، أليس كذلك؟

- لقد كنت أتوقع أنك على علم بمهمتي هنا.

- كلا يا سيدي. ليست لدي فكرة ما عن سبب قدومك.

فابتسم "**بوارو**" وقال بدون مقدمات:

- السيدة "**ماك جنتي**".

- يا له من حادث مفجع!!

- هل كانت لك بها معرفة؟

- أجل كما يعرفها غيري في "**برودهيني**"، وكانت تقضي معي بعض الوقت هنا حينما تقدم لشأن من شئونها. يا لها من مأساة! وسمعت أنها لم تنته بعد فصولها.

- إن البعض يرتاب في إدانة "**جيمس بنتلي**".

- هذه ليست أول مرة تخطئ فيها الشرطة في اتهام رجل بريء- وإن كنت لا أزعم أنها فعلت ذلك في هذه القضية، كما أنني لم أكن أتوقع منه أن يفعل ما نسب إليه، وهو الرجل الخجول الذي لا يبدو منه ما ينبئ عن مدى

خطورته.

– ألم تتحدث السيدة "**ماك جنتي**" أمامك عن ضيقها بأحد أو خوفها منه؟

– كلا. لقد كنت أرى فيها امرأة هادئة الأعصاب، كما كنت أعرف أنها تعمل أحيانا إلى ساعة متأخرة من الليل في منزل السيد "**كاربنتر**" حينما يكون لديهم مدعوون إلى العشاء. ولو كانت تخشى أحدا، لما جسرت على أن تعود إلى منزلها في جنح الظلام.

– هل لك معرفة بابنة أخيها– السيدة "**بورك**"؟

– مجرد معرفة سطحية، فقد كانت تحضر أحيانا لزيارتها ومعها زوجها.

– وهل كانت السيدة "**ماك جنتي**" مغرمة بابنة أخيها؟

– أجل، بأسلوبها الهادئ.

– وماذا عن زوج ابنة أخيها؟

– نفس الوضع، بقدر ما أعلم.

– متى رأيت السيدة "**ماك جنتي**" لآخر مرة؟

– في اليوم السابق لوفاتها، فيما أعتقد– كلا، في اليوم الأسبق. يوم الاثنين، وكان مقتلها في يوم الأربعاء. أجل، وكانت قد جاءت لشراء زجاجة حبر.

– زجاجة حبر؟!

– لعلها كانت تريد أن تكتب رسالة ما.

– وهل كانت على مألوف عادتها؟ ألم يبد عليها شيء غير طبيعي؟

– كلا، كلا، لست أذكر على وجه التحقيق.

وهنا أسرعت فتاة تدعى "**أدنا**" إلى جانب السيدة "**سويتيمان**" قائلة، وقد بدا أنها كانت تنصت لما يدور من حديث:

– إنها لم تكن على مألوف عادتها، لقد لاحظت أنها كانت مسرورة لشيء ما.

فأردفت السيدة "**سويتيمان**" قائلة:

– ربما كنت مصيبة فيما تقولين، وإن كنت لم أتبين ذلك في حينه.

– ألا تذكرين شيئا مما تحدثت به في ذلك اليوم؟

– لا أذكر أنها تحدثت عن "**جيمس بنتلي**"، ولكنها تحدثت عن آل "**كاربنتر**" وعن السيدة "**أبوارد**" حيث كانت تعمل.

– كنت أريد أن أسألك عن الأماكن التي اعتادت أن تعمل بها.

– كانت تعمل في يومي الاثنين والخميس عند السيدة "**سمر هايز**" في "**لونج ميدوز**"، أحسبك تقيم لديهم، أليس كذلك؟

– بلى؛ لأنني لم أجد مكانا آخر.

– وأعتقد أنك لا تجد راحتك حيث تقيم. إن السيدة "**سمر هايز**" ليست ربة بيت موفقة. ولنعد إلى تقسيم أيام عمل الأسبوع بالنسبة للسيدة "**ماك جنتي**". فقد كانت تذهب صباح الثلاثاء إلى دكتور "**ريندل**"، وبعد الظهر إلى السيدة **أبوارد**" وهي سيدة متقدمة في السن تقيم مع ابنها في "**لابورنمز**"، والأربعاء إلى السيدة "**ويذربي بهنترز كلوز**"، ويوم الجمعة إلى السيدة "**سيلكيرك**" التي تدعى الآن السيدة "**كاربنتر**".

وبهذه المعلومات عن سكان قرية "**برودهيني**" غادر "**بوارو**" مكتب البريد، وسار على مهل في اتجاه "**لونج ميدوز**" حيث استعرض جهود يومه، وانتهى من ذلك إلى أنه لم يفز منها بطائل. إن كل ما اجتمع لديه من معلومات، هو أن لـ"**جيمس بنتلي**" صديقة واحدة، وأنه لم يكن له أعداء، لا هو ولا السيدة "**ماك جنتي**"، وأن السيدة "**ماك جنتي**" ابتاعت زجاجة حبر- وتوقف "**بوارو**" عن السير...

لقد تساءل عما كانت تبغيه السيدة "**ماك جنتي**" من زجاجة الحبر، وأجابته السيدة "**سويتيمان**" بأنها كانت تريد أن تقوم بتحرير رسالة... ترى لمن حررت السيدة "**ماك جنتي**" هذه الرسالة قبل وفاتها بيومين؟ ولماذا؟

الفصل الثامن

- 1 -

قالت السيدة "**بورك**" وهي تحرك رأسها نفيا:

– رسالة من عمتي؟ كلا. وفيم تكتب لي؟

فقال لها "**بوارو**":

– ربما هنالك ما يستدعي ذلك.

– إن عمتي لم تكن تحب الكتابة. كانت تناهز السبعين من عمرها، ولم تتلق من العلم إلا قليلا.

– ولكنها كانت تستطيع القراءة والكتابة؟

– بكل تأكيد، ولكن الكلام أيسر سبيلا من الكتابة، لقد كانت تتصل بي تليفونيا عن طريق السيد "**بنسون**" الكيميائي إذا ما أرادت أن تبلغني رسالة ما.

– ولكنني أعتقد أن عمتك كانت تكتب إليك أحيانا؟

– ليس أكثر من بطاقات الأعياد.

– أليس لها أصدقاء يمكن أن تراسلهم؟

– لا علم لي بهذا.

– إذا كانت قد حررت رسالة ما، فلابد أن تكون هذه الرسالة ردا على رسالة تلقتها؟ ألم تعثروا على رسائل بين حاجياتها؟

– لست أستطيع الإجابة عن هذا السؤال؛ لأن الشرطة كانت تتولى كل شيء في أول الأمر، وأخيرا أذنوا لي بجمع حاجياتها.

– وماذا فعلت بها؟

– هذا الصندوق يضم حاجياتها، ثم هنالك دولاب ملابس في الطابق الأعلى، وبعض أدوات المطبخ.

– إنني أستهدف من سؤالي هذا حاجياتها الشخصية: كفرشاة، أو مشط، أو صورة فوتوغرافية، أو أدوات زينة أو ثياب..

– فهمت. هذه الأشياء رأيت أن أجمعها وأودعها حقيبة موجودة بالطابق الأعلى، ولم أكن أدري ماذا أفعل بها!

– هل لي أن ألقي نظرة على محتويات هذه الحقيبة؟

– بكل سرور. وإن كنت لا أعتقد أنك ستجد فيها ما تبغي. لقد فعلت الشرطة ذلك من قبلك.

وتقدمته السيدة "**بورك**" إلى غرفة نوم خلفية صغيرة، ودلته على الحقيبة ثم استأذنت في الانصراف لأداء بعض الأعمال المنزلية، وسمع "**بوارو**" وقع قدميها وهي تهبط الدرج عائدة أدراجها إلى الطابق الأرضي.. وقام بفتح الحقيبة وراح ينقب فيها لعله يعثر فيها على ما ينير له طريق البحث والتحري، ولكنه لم يجد سوى الملابس والحاجيات الشخصية لاستعمال امرأة عجوز. كما عثر على صورة فوتوغرافية للسيدة "**ماك جنتي**"وزوجها في يوم زواجهما، ولم يجد حقيبة يدها أو قفازيها، ورجح أن تكون "**بيسي بورك**" قد تصرفت فيهما. ووجد بين ما وجد زوجا من الأحذية مغلفا في صحيفة يومية، وحينما شرع في أن يعيده إلى مكانه في الحقيبة، استلفت نظره عنوان كبير بالصحيفة. كان اسم الصحيفة "**صنداي كوميت**" وتاريخها 19 نوفمبر (تشرين الثاني)، وكان تاريخ مقتل السيدة "**ماك جنتي**" هو 22 نوفمبر (تشرين الثاني).

لقد اطلعت السيدة "**ماك جنتي**" على الصحيفة بتاريخ 19 نوفمبر (تشرين الثاني)، وكان ذلك اليوم يوم أحد. وفي يوم الاثنين، توجهت السيدة "**ماك جنتي**" إلى مكتب البريد لشراء زجاجة حبر.. هل يمكن أن يكون هذا نتيجة لما قرأته في صحيفة الأحد؟

ووجد زوجا آخر من الأحذية مغلفا في صحيفة "**نيوز أوف ذي وورلد**" الصادرة في نفس اليوم، وهاتان هما الصحيفتان اللتان سمع بأن السيدة "**ماك جنتي**" كانت تقرؤهما. فحمل الصحيفتين إلى أحد المقاعد؛ ليطلع على ما ورد بهما، وسرعان ما وقع على اكتشاف جدير بالاهتمام. فقد تبين أن جزءا

من إحدى صفحات "**صنداي كوميت**" قد انتزع من حيزه المستطيل في الصفحة الوسطى، وكانت مساحته أكبر من مساحة أي من القصاصات التي عثر عليها في الحقيبة. وتصفح الصفحتين، غير أنه لم يجد بهما ما يستلفت النظر، فراح يغلف بهما زوجي الأحذية، ويعيدهما إلى مكانهما من الحقيبة. ثم اتجه إلى الطابق الأرضي، حيث وجد السيدة "**بورك**" في المطبخ. وبادرته بقولها:

– لا أعتقد أنك عثرت على شيء له أهميته.

– كلا، للأسف. ألا تذكرين أنك لاحظت وجود قصاصة ورق منزوعة من صحيفة يومية في حقيبة يد عمتك؟

– كلا، ربما يكون أحد من رجال الشرطة قد عثر عليها وحملها معه.

غير أن الشرطة لم تعثر على شيء من هذا القبيل؛ لأن "**سبنس**" لم يدون هذا في مذكراته.

- 2 -

جلس "**بوارو**" ساكنا وأمامه ملفات الصحف اليومية، لقد وجد أن اهتمامه بدلالة زجاجة الحبر لم يكن عبثا. وكانت الصفحة التي أمامه في إحدى صفحات "**صنداي كوميت**" الصادرة بتاريخ 19 نوفمبر (تشرين الثاني)، وقد برز في صدرها العنوان التالي:

«ضحايا المآسي القديمة من النساء»

«أين هن الآن»

وتحت هذا العنوان أربع صور فوتوغرافية، قديمة باهتة، وأسفل كل صورة اسم صاحبتها على النحو التالي:

"**إيفا كان**"، المرأة الأخرى في قضية "**كريج**" المعروفة، "**جانيس كورتلاند**"، الزوجة المفجوعة التي كان زوجها شيطانا في قالب إنسان.

"**ليلي جامبول**" الصغيرة النتاج المؤسف لعصرنا المكتظ بالناس.

"**فيرا بليك**" الزوجة التي لم تساورها الشكوك في زوجها القاتل.
ويلي ذلك هذا السؤال الجريء:
أين هن الآن؟

واسترخى "**بوارو**"؛ ليتيح لذهنه المكدود فرصة استعادة كل ما يتصل بهؤلاء البطلات اللاتي أحيت ذكراهن هذه الصحيفة.

إنه لم ينس اسم "**إيفا كان**"؛ لأن قضية "**كريج**" كانت من القضايا المعروفة، التي أحدثت دويا. فلقد كان "**ألفريد كريج**" موظفا ببلدية "**بارمنستر**"، وكان رجلا مستقيما، حلو الشمائل. وشاء له حظه العاثر أن يتزوج من امرأة مستهترة، أرغمته على الاستدانة لإرضاء نزواتها، ونغَّصت عليه حياته، وأرهقت أعصابه، إلى أن تدهورت صحتها العقلية، وكانت "**إيفا كان**" هي القائمة على رعاية طفليه في المنزل، وكانت في التاسعة عشرة من عمرها، جميلة، هادئة، وكان أن تحابا وأغرم كل منهما بالآخر، ثم سمع الجيران من "**كريج**" أن زوجته قد سافرت إلى الخارج لأسباب صحية، وقال "**كريج**" فيما قال إنه اصطحبها إلى "**لندن**" في سيارته ذات مساء، حيث ودعها عند رحيلها إلى جنوب "**فرنسا**". ثم عاد أدراجه إلى "**بارمنستر**"، وكان يتحدث عن صحة زوجته من حين لآخر. فيقول إنها لم تكن على ما يرام، بناء على ما يرد برسائلها. وتخلفت "**إيفا كان**" لتقوم على رعايه طفليه، وسرعان ما بدأت الألسنة تلوك سمعتها. وأخيرا تلقى "**كريج**" نبأ وفاة زوجته بالخارج، وسافر ليعود بعد أسبوع بقصة عن جنازة زوجته ودفنها.

ولم يكن "**كريج**" بالرجل الحريص، أو بالمجرم المحترف، فقد أخطأ فيما تحدث به عن الناحية التي توفيت فيها زوجته بـ"**رفييرا فرنسا**"، وكان من اليسير أن يتطوع أحد ممن له قريب أو صديق في جنوب "**فرنسا**" بالكتابة إليه في الموضوع ليتلقى الرد بأن شيئا من ذلك لم يحدث على الإطلاق، ثم تسري الإشاعات إلى أن تصل إلى الشرطة، ويمكن تلخيص ما حدث فعلا بأن السيدة "**كريج**" لم ترحل إلى "**الريفييرا**". وبأن جثتها مزقت إربا ودفنت في

قبو المنزل، وقد أسفر تشريح بقايا الجثة عن أن السيدة "**كريج**" قد ماتت بالسم.

وألقي القبض على "**كريج**" وقدم للمحاكمة، واعتبرت "**إيفا كان**" شريكة في الجريمة في بداية الأمر، ثم أسقطت عنها التهمة بعد أن اتضحت براءتها فعلا بجهلها لكل ما حدث. وانتهى الأمر بـ"**كريج**" إلى الاعتراف، وحكم عليه بالإعدام شنقا.

أما "**إيفا كان**" التي كانت تنتظر مولودا، فقد غادرت "**بارمنستر**"، وعلى حد ما ورد بالصحيفة، لقد تعطف بعض الأقارب في العالم الجديد بأن قدموا إليها منزلا تقيم به. وقد غيرت الفتاة التعسة التي غرر بها قاتل أثيم اسمها، ورحلت عن هذه البلاد إلى الأبد، لتبدأ حياة جديدة، حيث تطوي قلبها على مأساتها، وتخفي عن ابنتها سر مولدها واسم أبيها. ترى أين هي الآن؟

ثم انتقل إلى ما كتب عن الضحية الثانية، "**جانيس كورتلاند**"، الزوجة المفجوعة التي عانت من زوجها الغريب الأطوار، طوال ثمانية أعوام، ثم اتخذت لها صديقا. مثاليا، هاله ما رآه بين الزوج وزوجته مصادفة، فهاجم الزوج بقضيب من الحديد وقتله. وقد وجد المحلفون أن المشهد المهين بين الزوجين استفز الشاب المثالي، الذي لم يكن يضمر قتل الزوج، فحكم عليه بالسجن خمس سنوات.

وقد فزعت "**جانيس**" من كل هذه الأحداث، وما أسفرت عنه من فضيحة آذت مشاعرها، فرأت أن ترحل إلى الخارج لتنسى. فهل تراها نسيت ما حدث؟

ثم انتقل "**هيركيول بوارو**" إلى "**ليلي جامبول**" الطفلة الصغيرة، التي كانت ضحية لتكاثر النسل في عصرنا هذا. ويبدو أن "**ليلي جامبول**" قد أقصيت عن منزلها المزدحم، لتتكفل بها عمة تأويها في دارها. وحدث أن "**ليلي**" أرادت أن تذهب إلى السينما، ورفضت العمة أن تأذن لها، فالتقطت "**ليلي**" ساطوراً وضربت به عمتها.. فأردتها قتيلة. وكانت "**ليلي**" في الثانية

عشرة من عمرها. فأرسلت إلى إحدى إصلاحيات الأحداث.

ومضت الصحيفة تقول:

– إنها بلغت الآن مبلغ النساء، وقد عادت إليها حريتها لتأخذ مكانها بين ظهرانينا. وقيل إن سلوكها أيام فترة حجزها كان مثاليا. ألا يدل هذا على أن النشء ليس هو الملوم، وأن المسؤولية تقع على عاتق النظام؟ وأن "**ليلي**" التي نشأت في جو من الجهل والقذارة، هي ضحية البيئة.

غير أن "**بوارو**" لم يكن من أنصار هذا الرأي، وكان يرثي لحال العمة، لا لحال الطفلة التي كانت في الثانية عشرة من عمرها، حينما أقدمت على ارتكاب جريمتها البشعة. ثم انتقل إلى "**فيرا بليك**".

وكان واضحا أن "**فيرا بليك**" امرأة عاثرة الحظ. فقد اتصلت في مطلع حياتها بشاب اتضح أنه مجرم، تبحث عنه الشرطة لقتله حارس أحد البنوك. ثم تزوجت من تاجر محترم اتضح فيما بعد أنه يتعامل في السلع المسروقة. ثم كان أن انحرف طفلاها عن سواء السبيل وانتهزا فرصة اصطحاب الأم لهما إلى أحد المتاجر، وقاما بسرقة بعض السلع، في غفلة منها. وأخيرا، ظهر رجل طيب القلب على مسرح حياتها، وهيأ لها منزلا في إحدى المستعمرات البريطانية.

وبدأت الأم وطفلاها حياة جديدة، وأخيرا، وبعد سنوات طويلة من ضربات القدر المتوالية انتهت متاعب "**فيرا**".

واضطجع "**بوارو**" في مقعده وراح يتفحص الصور الأربع. غير أنه لم يوفق في استجلاء ملامحها وخطوطها الأساسية.

لقد عمدت السيدة "**ماك جنتي**" إلى انتزاع هذه الصور من مكانها. فلماذا؟ هل لمجرد الاحتفاظ بها لأن قصصها مشوقة؟ غير أنه استبعد هذا الخاطر. إن السيدة "**ماك جنتي**" ليست من هذا الطراز.

لقد انتزعت هذه القصاصة في يوم الأحد، ثم ابتاعت زجاجة من الحبر في يوم الاثنين. وهي لم تلجأ إلى "**جو بورك**" ليعاونها في تحرير رسالة ما كما

اعتادت أن تفعل.. فلماذا؟

وعاد "**بوارو**" يلقي نظرة فاحصة على الصور الفوتوغرافية وما كتب تحتها.. إن الصحيفة تتساءل عن مصيرهن الآن؟ ألا يحتمل أن تكون إحداهن قد قدمت إلى "**برودهيني**" في شهر نوفمبر (تشرين الثاني) الماضي؟

- 3 -

لم يتمكن "**بوارو**" من الالتقاء بالآنسة "**باميلا هورسفول**" قبل اليوم التالي؛ إذ لم يكن لديها متسع من الوقت، فقد كان عليها أن تسرع بالتوجه إلى "**شيفليد**" لعمل مهم.

وكانت الآنسة "**هورسفول**" مديدة القامة، أقرب إلى الرجال منها إلى النساء، تدمن الشراب والتدخين، ويستبعد المرء من مجرد النظر إليها، أنها التي دبجت المقال الوارد بصحيفة "**صنداي كوميت**". وقد ابتدرت "**بوارو**" قائلة في صبر نافد:

– هات ما عندك إن لديَّ موعدا مهما.

– بشأن مقالك المنشور بصحيفة "**صنداي كوميت**" في نوفمبر (تشرين الثاني) الماضي عن ضحايا المآسي من النساء، وتساؤلك عن مصيرهن؟ المفروض بعد نشر مثل هذا المقال أن تتلقي العديد من الرسائل.

– بكل تأكيد، إن من الناس من يهوى تحرير الرسائل. وكلها رسائل بعيدة عن صلب الموضوع.

– هل تلقيت في أعقاب نشر ذلك المقال رسالة من سيدة تدعى السيدة "**ماك جنتي**" من "**برودهيني**"؟

– وأنى لي أن أعرف؟ وكيف يعلق بذهني اسم من بين مئات الأسماء الواردة بتلك الرسائل؟

– لقد خيل إليّ أنك ربما تذكرين هذا الاسم، فقد قتلت صاحبته بعد نشر المقال بأيام قليلة.

ونسيت الآنسة "**هورسفول**" موعدها، واتخذت لها مقعدا أمامه قائلة:

– "**ماك جنتي**".. "**ماك جنتي**".. إنني أذكر هذا الاسم. إنها المرأة التي قتلها الساكن في منزلها، ولم تكن الجريمة من الجرائم المثيرة من وجهة نظر الجمهور. أتزعم أن المجني عليها كانت قد كتبت إليّ؟

الأمر سيان، لئن كانت قد فعلت هذا لكان مصير الرسالة إليّ، ثم توقفت عن مواصلة الكلام لحظة. قالت بعدها:

– كتبت إلى صحيفة "**صنداي كوميت**" فيما أظن..

– مهلا.. لم تكنْ الرسالة من "**برودهيني**"، وإنما كانت من "**برودواي**".

– إذن فأنت تذكرينها!

– ولكنني لست واثقة بعد.. إن الاسم "**ماك جنتي**". أليس كذلك؟

– بلى..

– والخط رديء والأسلوب عامي، ولكنني واثقة بأنها كانت من "**برودواي**" لقد قلت إن الخط رديء، يمكن أن تتشابه "**برودهيني**" و"**برودواي**" حين تكتبها يد امرأة متقدمة في السن غير متعلمة؛ لذا محتمل أنني واثقة بهذا الاسم الآن. السيدة "**ماك جنتي**".

– ألا تذكرين شيئا مما ورد برسالتها؟

– لقد تحدثت عن صورة فوتوغرافية، وقالت إنها تعرف صاحبتها واستفسرت عما تقتضيه منا في مقابل ما لديها من معلومات؟

– وهل تلقت ردا منكم؟

– إننا لا نستهدف من النشر مثل هذه الأمور. لقد كان الرد قاصرا على توجيه الشكر إليها، مع تجاهل عرضها وحيث إنه أرسل إلى "**برودواي**" فليس من شك في أنه ضل طريقه إليها.

وتبادر إلى ذهن "**بوارو**" صدى ما سمعه من "**مورين سمر هايز**" عن فضول السيدة "**ماك جنتي**". لقد كانت السيدة "**ماك جنتي**" أمينة، ولكنها محبة للاستطلاع، وكثير من الناس مولعون بالاحتفاظ ببعض ذكريات

الماضي، مما لا حاجة لهم به. إنهم يحتفظون بها إرضاء لمشاعرهم، وإن نسوا على مر الزمن وجودها لديهم.

لقد عثرت السيدة "**ماك جنتي**" على إحدى صور هذه الذكريات، ثم تعرفت على صاحبتها بعد إعادة نشرها في صحيفة "**صنداي كوميت**"، وبعثت هذه المصادفة الأمل في نفسها بإمكان استغلالها ماديا...

ونهض "**بوارو**" قائلا:

– شكرا يا آنسة "**هورسفول**"، ومعذرة إذا استفسرت منك عن مدى دقة ما ورد بمقالك عن تلك القضايا؟ لقد خيل إليَّ أن ثمة اختلافا بين بعض الأسماء والتواريخ.

– إنه اختلاف طفيف، لا يقدم ولا يؤخر، لكن العبرة بوقائع القضايا وصحة أحداثها. وعلى الرغم من لهجة المقال، فإنني في قرارة نفسي أعفي أولئك النساء من اللوم.

– ألا يحتمل عودتهن، أو عودة إحداهن إلى الوطن؟

– لست أستبعد ذلك، ولكن لم يكن بوسعي تقصي الأمر.

الفصل التاسع

- 1 -

كان الدكتور "**ريندل**" يناهز الأربعين من عمره، وقد استقبل زائره بترحاب ملحوظ، قائلا:

– لقد شرفت قريتنا الصغيرة، إن وجود "**هيركيول بوارو**" فيها لمفخرة لها.

وسعد "**بوارو**" بهذا الإطراء وقال:

– إذن فقد سمعت باسمي من قبل؟

– بكل تأكيد. ومن ذا الذي لم يسمع به..؟

ثم نظر في ساعته وقال:

– سأمضي بعد ربع ساعة لإجراء جراحة، والآن بماذا تأمر؟ إنني أتحرق شوقًا

لمعرفة سبب قدومك إلى هذه القرية. أتراك قدمت للاستجمام؟

– بل قدمت لعمل. إنه بشأن السيدة "**ماك جنتي**".

– إنني موكل من الدفاع؛ للتوصل إلى دليل جديد يصلح أساسا لاستئناف الحكم.

– وماذا عساه أن يكون هذا الدليل؟

– هذا ما لست في حل من الإفضاء به، غير أنني قد وفقت إلى بعض الأمور التي تشجع على مواصلة التحري، ولقد قدمت لزيارتك؛ لأنني علمت بأن السيدة "**ماك جنتي**" كانت تعمل لديكم.

– أجل. أجل. كانت تحضر مرة في الأسبوع؛ لتقوم ببعض أعمال النظافة.

– هل كانت موضع ثقتك؟

– لم يبد منها ما يخل بهذه الثقة.

– أتراها كانت صادقة في كل ما تقول؟

– هذا لا يمكن أن أجزم به. إنني لا أعرف عنها سوى القليل.

– هل كنت تعرف "**جيمس بنتلي**"..؟

– لقد زارني زيارة مهنية مرة أو مرتين، وكان قلقا من أجل صحته. لقد كان طفلا مدللا، هذه هي النتيجة. ولدينا من هذا القبيل حالة أخرى. السيدة "**أبوارد**"، "**لورا أبوارد**". إنها تسرف في تدليل ولدها، ولا تطيق أن يفترق عنها.

– وهل طالت إقامتهما هنا؟

– ثلاث أو أربع سنوات. إن أحدا لا يقيم في "**برودهيني**" طويلا. إن القرية الأصلية لم تكن أكواخها لتتجاوز أصابع اليد عداً، كلها قائمة حول "**لونج ميدوز**". إنك مقيم هناك، كما سمعت؟

– أجل كنزيل لدى السيدة "**سمر هايز**".

– وماذا تعرف هذه المرأة عن إدارة شئون المنازل؟ لا شيء على الإطلاق. لقد قضت كل حياتها تقريبا في "**الهند**"، وحولها من الخدم ما يفيض عن

حاجياتها. أعتقد أنك لا تجد راحتك هناك. ومع ذلك فإني أحب آل "**سمر هايز**". وقد ورث الميجور "**سمر هايز**" البيت عن والده الكولونيل "**سمر هايز**"، وكانت تركة مثقلة بالديون، وقد أصروا على الاحتفاظ بالبيت. ثم ألقى نظرة على ساعته، فاستأذن "**بوارو**" في الانصراف، غير أن الدكتور "**ريندل**" استبقاه قائلا:

– ما زال أمامي بضع دقائق، علاوة على أنني أريد أن أقدمك إلى زوجتي، التي سوف تسر بلقائك. إننا نتابع نشاطك في لهفة، كما أننا نهوى قراءة كل شيء عن الجرائم.

– وهل تقرأ صحيفة "**صنداي كوميت**"؟

– وهل هناك من لا يقرؤها؟

– لقد نشر بها منذ أكثر من خمسة أشهر مقال مشوق عن نساء شاء لهن حظهن العاثر أن تقترن أسماؤهن ببعض القضايا المشهورة.

– أجل، أذكر هذا المقال جيدا، وما تضمنه من مغالاة صحفية. إنني لا أزعم العلم بكل ما يتصل بهذه القضايا من وقائع، ولكنني في حل من الحديث عن قضية "**كورتلاند**"، مؤكدا أن تلك المرأة ليست بالبراءة التي وصفتها بها الصحيفة، وقد عرفت هذا من عم لي أشرف على علاج الزوج. ولم يكن أحد الزوجين أفضل. لقد دفعت فتاها إلى قتل زوجها، وحكم عليه بالسجن، وانطلقت هي أرملة ثرية، لتتزوج ممن تشاء. إنها لم تكن الزوجة الضحية بحال ما.

– لقد تساءلت بعد قراءة المقال عما صار إليه أمر هؤلاء النساء.

– ليس من شك في أنهن يحرصن على إسدال ستار من النسيان على ماضيهن المظلم. ومن يدري. فلعلك التقيت بإحداهن في مناسبة ما دون أن تعلم، فإنه من المتعذر التعرف على أي منهن من صورتها الفوتوغرافية؛ لعدم وضوحها.

ونهض "**بوارو**" مستأذنا في الانصراف، واستبقاه دكتور "**ريندل**" ثانية

ليلتقي بزوجته، وتقدم الطبيب ضيفه إلى البهو، مناديا:

- "**شيلا**" ... "**شيلا**" ... تعالي بسرعة، فإن لدي مفاجأة لك، وجاءت الزوجة. كانت امرأة شقراء رشيقة، فقال الطبيب:

- ها هو السيد "**بوارو**" بلحمه ودمه، فماذا تقولين في هذه المفاجأة؟

فحملقت بعينيها الزرقاوين إلى "**بوارو**"، وراحت تتفرس في وجهه بينما تقدم منها "**بوارو**" يحييها بأسلوبه الفرنسي. وأخيرا قالت له:

- لقد سمعنا بوجودك هنا. غير أننا لم نعرف.. ثم أمسكت عن الكلام، وألقت بنظرة خاطفة إلى زوجها، وبعد أن تفوه "**بوارو**" ببعض عبارات المجاملة استأذن في الانصراف.

- 2 -

كان "**هنترز كلوز**" بيتا مشيدا على الطراز الفيكتوري المتين، رابضا في موقعه عند نهاية ممشى تغطيه الأعشاب. وسأل "**بوارو**" المرأة الأجنبية التي فتحت له الباب عن السيدة "**ويذربي**"، فأجابته وهي تحملق إلى وجهه:

- لست أدري. تفضل بالدخول، ربما أجابتك الآنسة "**هندرسون**".

وتركته واقفا بالبهو المزدحم بالأثاث، ثم عادت إليه بعد قليل، وطلبت إليه أن يتبعها إلى غرفة صغيرة بها مكتب كبير، وفتح باب الغرفة، وأقبلت فتاة قائلة:

- إن والدتي في فراشها. هل تأمر بشيء؟

- أتراك الآنسة "**ويذربي**"؟

- بل الآنسة "**هندرسون**". إن السيد "**ويذربي**" هو زوج أمي. وكانت الفتاة تناهز الثلاثين من عمرها، ولها عينان متألقتان..

قال "**بوارو**":

- لقد جئت لأستمع إلى ما تحدثونني به عن السيدة "**ماك جنتي**" التي كانت تعمل هنا.

– السيدة "**ماك جنتي**"؟ ولكنها ماتت.
– أعلم هذا. ومع ذلك، فبودي أن أسمع عنها بعض ما تعرفون.
– أتراك موفدا من قبل شركة التأمين؟
– كلا. إنني قادم من أجل بعض الأدلة الجديدة.
– أدلة جديدة. تعني... بشأن وفاتها؟
– لقد عُهد إليّ بالدفاع عن "**جيمس بنتلي**" بتقصي الحقائق لمصلحته.
– أليس هو الفاعل؟
– هذا غير ما رآه المحلفون، ولكن المحلفين ليسوا منزهين عن الخطأ.
– إذن فثمة قاتل آخر؟
– يحتمل.
– ومن عساه أن يكون؟
– هذا هو السؤال الذي أحاول الاهتداء إلى إجابته.
– إنني لا أفهم شيئا.
– ولكن في وسعك أن تحدثيني عن السيدة "**ماك جنتي**" قليلا.
– وماذا تريد أن تعرف؟
– فلنبدأ برأيك فيها.
– إنها مجرد امرأة عادية.
– هل هي ثرثارة؟ هل هي فضولية؟ هل يعيبها شيء؟
وأطرقت الآنسة "**هندرسون**" قليلا قبل أن تجيب:
– إنها كانت تتقن عملها، ولكنها كانت ثرثارة فعلا. وفي الحق، أنني لم أكن أميل إليها كثيرا.
وفُتح الباب، وأقبلت المرأة الأجنبية قائلة:
– الآنسة "**ديردر**". قالت والدتك إنها ترغب في استقبال السيد.
وتطلعت "**ديردر هندرسون**" إلى "**بوارو**" قبل أن تقول له:
– هل لي أن أصحبك إلى والدتي؟

– بكل تأكيد.

وتقدمته عبر البهو، وارتقت الدرج إلى غرفة والدتها. وكانت غرفتها تنبئ محتوياتها بأنها غرفة امرأة كثيرة الأسفار، قد حملت معها من كل بلد تذكارا.

وكانت السيدة "**ويذربي**" امرأة متوسطة الطول، نحيفة متخاذلة، تضطجع في استرخاء فوق أريكة وقد وضعت إلى جانبها منضدة عليها كتب وكوب من عصير البرتقال، وصندوق من الحلوى. وقد ابتدرته بقولها:

– معذرة لاستقبالك هكذا. إن الطبيب يأمر بما ترى، وأخشى إن عصيته أن يُنحي عليّ باللائمة.

وأمسك "**بوارو**" باليد التي مدت إليه، وأحنى قامته في أدب الفرنسيين. وسمع "**ديردر**" التي كانت تقف خلفه تقول:

– إنه يجمع بعض المعلومات عن السيدة "**ماك جنتي**".

وشعر باليد التي مازال ممسكا بها تنقبض قليلا، ثم سمع السيدة "**ويذربي**" تعقب بقولها:

– ومن عساها أن تكون السيدة "**ماك جنتي**"؟

فقالت ابنتها:

– أماه.. إنك تذكرينها. لقد كانت تعمل لدينا. تلك المرأة التي قتلت.

فأغمضت السيدة "**ويذربي**" عينيها، وقالت وهي ترتجف:

– يا له من حادث مفزع، لقد أثار أعصابي لعدة أسابيع. يا للمرأة المسكينة! لقد أخطأت باحتفاظها بنقود في منزلها. كان يجب أن تودع ما لديها من نقود في البنك. بديهي أن أذكر كل ذلك. كنت قد نسيت اسمها.

فقالت "**ديردر**":

– إنه يريد أن يجمع بعض المعلومات عنها.

– تفضل بالجلوس يا سيد "**بوارو**". لقد اتصلت بي السيدة "**ريندل**"

تليفونيا؛ لتنبئني بزيارتك لهم، وكانت جد مسرورة باستقبال رجل له شهرته المدوية في عالم الجريمة. هلا حدثتني بما تسعى إليه؟

– إنني أجمع بعض المعلومات عن السيدة "**ماك جنتي**". لقد كانت تعمل هنا، في يوم الأربعاء من كل أسبوع، وقد حدث أنها قتلت في يوم الأربعاء. مما يعني أنها كانت هنا في ذاك اليوم؟

– أعتقد هذا... هذا هو المفروض، وإن كنت لا أستطيع أن أجزم بذلك لبعد الأمد.

– أجل، مرت عدة أشهر طوال. ألا يمكن أن تذكري شيئا عما تحدثت به في ذلك اليوم. شيئا غير عادي؟

– إن مثل هذه الطبقة تكثر من الكلام، وقلما يستمع المرء إليها. ومهما يكن من أمر فإنها لم تتحدث بشيء عما كان القدر يخبئه لها.

– هل تقرئين صحف الأحد يا سيدة "**ويذربي**"..؟

– أجل نحن نقرأ "**الأوبزرفر**" و"**الصنداي تايمز**". لماذا؟ فيم سؤالك هذا؟

– لقد كانت السيدة "**ماك جنتي**" تقرأ صحيفة "**صنداي كوميت**" و"**نيوز أوف ذي وورلد**".

وسكت "**بوارو**" عن الكلام، وران الصمت على الجميع. إلى أن قالت السيدة "**ويذربي**":

– لقد كان الحادث مروعا بشعا، وذلك الساكن لابد وأن يكون قد أصيب بلوثة. فإن مظهره لم يكن يدل على أنه قادر على ما جنته يداه. إنها جريمة وحشية، بما في ذلك السلاح المستعمل فيها!

– إن الشرطة لم توفق في العثور على أداة الجريمة.

– ربما يكون القاتل قد ألقى بها في أحد المستنقعات.

وبدا على السيدة "**ويذربي**" أنها شعرت بالإجهاد فقالت ابنتها:

– سيد "**بوارو**"، أرجو ألا تثقل عليها بالأسئلة. إن مشاعرها جد رقيقة، وهي كما ترى ليست على ما يرام.

فقال "**بوارو**" ، وهو ينهض عن مقعده :

– معذرة . غير أنه يشفع لي أن هناك رجلا سينفذ فيه حكم الإعدام شنقا بعد ثلاثة أسابيع . فإذا ما كان هذا الرجل بريئا . .

فقاطعته السيدة "**ويذربي**" قائلة في صوت متهدج :

– ولكنه الفاعل بكل تأكيد . إنه الفاعل حتما .

– هذا ما نشك فيه .

وأسرع بمغادرة الغرفة، وبينما كان يهبط الدرج، لحقت به الفتاة وتبعته إلى البهو متسائلة :

– ماذا كنت تعني؟

– كنت أعني ما قلته يا آنستي .

– لقد تسببت في إزعاج والدتي . إنها تكره كل ما يتصل بأعمال العنف .

– لابد وأن مقتل هذه المرأة كان مفاجأة سيئة لها .

– أجل . أجل، وكان صدمة، ولذلك نحرص على تجنيبها كل انفعال أو رد فعل لأي عمل من أعمال القسوة والوحشية .

وفي هذه اللحظة فُتح الباب الأمامي، وأقبل منه رجل طويل القامة . نحيل . كهل، وما إن وقع نظره على "**بوارو**" حتى توقف عن مواصلة السير، ورمق "**ديردر**" بعينين متسائلتين . فقالت الفتاة :

– هذا هو زوج والدتي . إنني لا أعرف اسمك؟

– إنني "**هيركيول بوارو**" .

ولم يبد على السيد "**ويذربي**" أن إعلان الاسم قد أثار اهتمامه، واستدار ليخلع معطفه . وأردفت "**ديردر**" قائلة :

– لقد جاء بشأن السيدة "**ماك جنتي**" .

وبعد أن فرغ السيد "**ويذربي**" من إحكام وضع معطفه على المشجب، استدار قائلا :

– إن علاقتنا بهذه المرأة لا تتجاوز أنها كانت تعمل هنا يوما في الأسبوع،

وقد وقع الحادث منذ بضعة أشهر، وليس لدينا أية معلومات عنها أو عن أسرتها. لقد أدلينا بما لدينا من أقوال لرجال الشرطة.

ثم ألقى نظرة على ساعته وقال:

– من المفروض أن الغداء سيكون معدا بعد ربع ساعة.

فقالت "**ديردر**":

– أخشى أنه سيؤجل قليلا.

وقطب السيد "**ويذربي**" جبينه قائلا:

– ولماذا؟ أريد أن أعرف السبب؟

– لأن "**فريدا**" كانت مشغولة.

– "**ديردر**" إنه ليسوءني أن أذكرك بواجبك. إن إدارة شئون البيت منوطة بك، ويجب أن تسير الأمور في هذا البيت بكل دقة.

وفتح "**بوارو**" الباب الخارجي وانصرف في هدوء، وبعد بضع خطوات ألقى بنظرة صوب الباب الذي غادره لتوه. لقد كانت نظرات السيد "**ويذربي**" إلى ابنة زوجته تنطوي على الكراهية، كذلك كانت نظرات الفتاة إلى زوج أمها.

الفصل العاشر

أرجأ "**بوارو**" زيارته الثالثة إلى ما بعد الغداء، وكان يمني نفسه بأن يحظى بغداء شهي كما وعدته "**مورين**".

وسار "**بوارو**" على مهل، في طريقه إلى حيث تقيم السيدة "**أبوارد**" وولدها الشاب "**روبين أبوارد**"، الذي يرجى له مستقبل ككاتب مسرحي، وتوقف لحظة ليصلح هندامه. وبينما كان موقفه أمام الباب أقبلت سيارة، وإذا ببقايا تفاحة ترتطم بصدغه بقوة، فصاح "**بوارو**" محتجا. وتوقفت السيارة، وأطل من نافذتها رأس:

– معذرة. هل آذيتك؟

ووقف "**بوارو**" يتأمل الوجه الذي أمامه، بكل ما فيه من سمات النبل، وقد

توًجه ذلك الشعر الذي خطه الشيب فنشطت في ذهنه الذكريات، قبل أن يهتف قائلا:

- أوه.. السيدة "**أوليفر**".

والواقع. أنها فعلا كانت كاتبة القصة البوليسية المعروفة.

وهتفت هي الأخرى باسمه، وهي تحاول مغادرة السيارة. وأسرع "**بوارو**" يعاونها؛ لأن الكاتبة كانت ضخمة الجسم والسيارة صغيرة. وقالت موضحة:

- لقد كانت رحلة طويلة، كيف حالك؟ هل تقيم هنا؟ ماذا أتى بك إلى هذه النواحي؟ أهي جريمة قتل؟ أرجو ألا تكون المجني عليها هي مضيفتي؟

- ومن عساها أن تكون مضيفتك؟

- ربة هذا البيت فيما أرجح.

- أولا تعرفينها؟

- كلا، إنني قادمة في مهمة مهنية. لقد حول "**روبين أبوارد**" إحدى قصصي إلى مسرحية، وقد قدمت لمراجعتها معه.

- لك خالص تهانًي يا سيدتي.

- ليس الأمر كما يخيل إليك. أنت تعرف أن مؤلفاتي تدر عليّ الكثير، غير أنني لا أحب أن تنطق شخصيات قصصي بغير ما أردت أن ينطقوا به، بدعوى أن أعمال المسرح تقضي بذلك، وأنا أخشى أن يلجأ "**روبين أبوارد**" إلى هذا الأسلوب. إنهم يقولون عنه إنه يحذق عمله، ولست أدري لماذا لا يكتب مسرحية من تأليفه ويدع أبطال قصصي وشأنهم. والآن فلتحدثني بأمر القضية التي جاءت بك إلى هنا؟

- إنها قضية خادمة متجولة، سُرقت وقتلت منذ خمسة أشهر، وربما تكونين قد قرأت عن هذا الحادث في الصحف. كانت تدعى السيدة "**ماك جنتي**"، واتهم بقتلها شاب حكم عليه بالإعدام شنقا.

فقاطعته السيدة "**أوليفر**" قائلة:

- وهذا الشاب بريء، وأنت تعرف من المتهم الحقيقي، سوف تقوم

بالتدليل على ذلك. رائع.

– إنك تسبقين الأحداث. إنني لم أعرف بعد من عساه أن يكون الفاعل الحقيقي.. ومن ثم فمازال أمامي الكثير.

– ما أشد بطأكم يا معشر الرجال.. إنني سرعان ما سأدلك على الفاعل الحقيقي. أمهلني يوما أو اثنين لأجيل البصر حولي، فأضع يدي على القاتل. إنك بحاجة إلى إلهام المرأة، ألم يسبق لك أن لمست هذا معي؟

وحينئذ هتف صوت بباب البيت:

– أهي السيدة "**أوليفر**"؟

– أجل، لقد وصلت أخيرا... "**بوارو**" لا تقلق.. إنني لن أبوح بشيء.

– كلا، يا سيدتي لست أريد هذا، بل أريد العكس.

وأقبل "**روبين أبوارد**" عبر الممشى إلى الباب الخارجي، قائلا:

– السيدة "**أوليفر**" العزيزة!

ثم احتضنها بحرارة. وخلى ما بينه وبينها مستطردا:

– لقد واتتني فكرة صائبة عن الفصل الثاني.

– هكذا؟ أقدم إليك السيد "**هيركيول بوارو**".

– رائع. هل أتيت معك بحقائب؟

– أجل. إنها في مؤخرة السيارة.

وأسرع "**روبين**" يخرج الحقيبتين، قائلا:

– يا لمضايقات الخدم، لم يعد لدينا منهم سوى "**جانيت**" العجوز.

وتقدمها عبر الممشى قائلا:

– هيا بنا لنتناول بعض الشراب.

فقالت السيدة "**أوليفر**" وهي تلتقط حقيبة يدها، وكتابا، وحذاء قديما من فوق المقعد الأمامي:

– إنه يعنيك بهذه الدعوة أيضا يا سيد "**بوارو**" أحقا ما كنت تقوله من أنك لا تريد مني أن أكون حذرة متحفظة؟

– نعم ومن الخير أن تمضي في الصراحة إلى أبعد الحدود.

– مهما يكن من أمر، فإنها قضيتك، ولك أن تنتهج فيها الأسلوب الذي تريده، وستجدني كما عهدتني دائما، متعاونة معك إلى أقصى حد.

وعاد "**روبين**" أدراجه ليقف بباب البيت الأمامي مناديا:

– هيا، أقبلا. دعي السيارة الآن. إن أمي تتلهف شوقا إلى لقائك.

وسارت السيدة "**أوليفر**" عبر الطريق المؤدي إلى البيت، يتبعها "**بوارو**"، ودلفا إلى البيت الذي يبعث في النفس البهجة بمجرد أن تطأه أقدام الزائر. وفي المقعد المتحرك بجوار المدفأة بغرفة الجلوس، استقبلتهما "**لورا أبوارد**" مرحبة مبتسمة، ورأى فيها "**بوارو**" امرأة قوية الشكيمة، تناهز الستين من عمرها وبادرتهما قائلة:

– يسرني أن أستقبلك في بيتي يا سيدة "**أوليفر**"، وأحسب أنك لا تحبين أن يتحدث إليك أحد عن مؤلفاتك، وإن كنت قد رأيت فيها خير تسلية لي طوال هذه السنين من العجز والمرض.

– شكرا على هذه المجاملة يا سيدتي. أقدم إليك السيد "**بوارو**"، صديق قديم لي. لقد كان لقاؤنا مجرد مصادفة أمام منزلكم.

– كيف حالك يا سيد "**بوارو**"؟ "**روبين**".

– نعم يا أماه..

– أسرع ببعض الشراب. أين السجائر؟

– على المنضدة.

– السيد "**بوارو**"، أتراك أنت الآخر من كتاب القصة؟

فقالت السيدة "**أوليفر**":

– كلا. إنه من رجال الشرطة السريين، من طراز "**شرلوك هولمز**". وقد قدم لتقصّي الحقائق بشأن جريمة قتل.

وسمع صوت كأس يتحطم. فقالت السيدة "**أبوارد**" بحدة:

– "**روبين**" خذ حذرك.

ثم قالت تحدّث "**بوارو**" :

– السيد "**بوارو**" إنه لنبأ مشوق.

وأردف "**روبين**" قائلا:

– إذن فقد صدقت "**مورين سمر هايز**" فيما قالته. لقد حدثتني عن وجود شرطي سري بهذه النواحي. ترى ما السبب؟

فقالت السيدة "**أوليفر**" :

– إنه بشأن مقتل السيدة "**ماك جنتي**" في الخريف الماضي.

– ولكن هذه القضية قد اختتمت فصولها.

فقالت السيدة "**أوليفر**" معترضة:

– إن هذه القضية لم تنته بعد. لقد اعتقل الرجل البريء، ولسوف يعدم شنقا إذا لم يوفق السيد "**بوارو**" في الاهتداء إلى القاتل الحقيقي في الوقت المناسب. إنها قضية مثيرة حقا.

وقام "**روبين**" بتوزيع أقداح الشراب، وسألهم ساخرا أن يشربوا نخب الجريمة. ثم أردف قائلا:

– لقد كانت تعمل لدينا.

فتساءلت السيدة "**أوليفر**" :

– أتعني السيدة "**ماك جنتي**" ؟

– أجل، أليس كذلك يا أماه؟

– إنها كانت تحضر يوما من كل أسبوع.

فعادت السيدة "**أوليفر**" تسأل:

– كيف كانت تبدو؟

فقال "**روبين**" :

– امرأة محترمة، تتقن عملها، وتتفانى فيه.

وأمنت والدته على كلامه. ودار بين الأم وابنها حديث رقيق، يدرك من يستمع إليه مدى ما بينهما من ود متبادل، ونهض "**بوارو**" قائلا:

- آسف إذ أجدني مضطرا إلى الانصراف . . لديَّ زيارة أخرى، ثم قطار يجب أن ألحق به. إنني شاكر لك يا سيدتي كرم وفادتك. السيد "**أبوارد**"، أرجو لك كل التوفيق في مسرحيتك.

وأردفت السيدة "**أوليفر**" قائلة:

- وكل توفيق لك في تحرياتك.

فتساءل "**روبين أبوارد**" قائلا:

- هل الأمر بهذه الجدية حقا يا سيد "**بوارو**"؟ أم أنه مجرد مزحة؟

فأجابت السيدة "**أوليفر**":

- إنه الجدُّ كل الجد. وهو لم يصارحني باسم القاتل الحقيقي، ولكنه يعرف من هو، أليس كذلك؟

فاحتج "**بوارو**" بما يكاد أن يكون اعترافا:

- كلا، كلا يا سيدتي. لقد قلت لك إنني لم أعرفه بعد . . . إنك جد كتوم . .

- هذا ما قلته، ولكنني أعتقد أنك تعرف الحقيقة.

وانصرف "**بوارو**" . . وكانت زيارته التالية لمنزل السيد والسيدة "**كاربنتر**"، وكان السيد "**كاربنتر**" شريكا في مؤسسة "**كاربنتر**" الهندسية وهو رجل فاحش الثراء، اشتغل أخيرا بالسياسة، ولم تكن حياته الزوجية قديمة العهد، بل كانت حديثة لم يطل عليها الأمد.

وفتح الباب خادم متعجرف أبى أن يفسح له الطريق؛ إذ ارتاب في أن يكون "**بوارو**" بائعا متجولا.

قال الخادم:

- إن السيد والسيدة "**كاربنتر**" بالخارج.

- إذن سأنتظرهما.

- لست أدري متى سيعودان إلى المنزل.

ثم أوصد الباب. ولم يعد "**بوارو**" أدراجه، بل عرج في سيره حول ناصية

البيت، حيث كاد أن يصطدم بامرأة في مقتبل العمر، ممشوقة القد، ترتدي معطفا من الفراء الفاخر، وبادرته بالتحية، ثم سألته عما يبغي. فرفع "**بوارو**" قبعته احتراما وهو يقول:

– كنت أرجو أن أسعد بلقاء السيد أو السيدة "**كاربنتر**". أتراني قد سعدت بلقاء السيدة "**كاربنتر**"..؟

– أجل أنا السيدة "**كاربنتر**".

– إنني أدعى "**هيركيول بوارو**".

ولم يتبين صدى لسماعها اسمه– سواء بالنسبة لما يحظى به من شهرة، أو بالنسبة له كوافد جديد بالقرية يقيم في منزل "**مورين سمر هايز**".

وسمعها تقول له بهدوء:

– نعم؟

– لقد جئت لأحظى بهذا اللقاء، وقد شاءت محاسن الصدف أن يتيسر لي ذلك بعد أن صرفني الخادم. إن ما جئت من أجله يعد من صميم اختصاصك؛ لأنه بشأن بعض الشئون المنزلية.

– هيا بنا إلى الداخل.

وتقدمته إلى بهو المنزل، ومنه إلى غرفة تطل على حديقة بديعة التنسيق. وكانت الغرفة مؤثثة بأثاث عصري حديث، وتأمل "**بوارو**" ربة البيت بعين فاحصة حينما استدارت لتواجهه، ووجد فيها امرأة في مقتبل العمر، جميلة، شقراء الشعر، قد افتتنت في زينتها، ولها عينان زرقاوان، تشبهان مياه البحار زرقة وعمقا. ودعته للجلوس، وإن كان قد أحس من نبرات صوتها بضيقها به. وجلس شاكرا لها ما تفضلت به عليه، ثم استطرد قائلا:

– إن ما جئت للاستفسار عنه يتصل بالسيدة "**ماك جنتي**" التي قضت نحبها– أو قتلت– في شهر نوفمبر (تشرين الثاني) الماضي.

– السيدة "**ماك جنتي**"؟ لست أفهم شيئا؟

– ألا تذكرين شيئا عن السيدة "**ماك جنتي**"؟

وكانت تحدجه بنظرات حادة تنم عن الشك والريبة ثم أجابته:

– كلا. إنني لا أعرف شيئا عنها.

– ألا تذكرين شيئا عن مقتلها؟ إن جرائم القتل ليست بالأحداث المألوفة في مثل هذه النواحي.

– آه، المرأة القتيل؟ لقد نسيت اسمها.

– مع أنها كانت تعمل لديكم..؟

– كلا. إنني لم أكن مقيمة هنا. لقد تزوجت من السيد "**كاربنتر**" منذ ثلاثة أشهر فقط.

– ولكنها كانت تعمل عندك صباح كل يوم جمعة، وكنت أنت حينذاك، زوجة للسيد "**سيلكيرك**" وتقيمين في ڤيللا "**روز**".

– ما دمت تعرف كل شيء، فلست أرى ما يدعو لأسئلتك، ومع ذلك هلا صارحتني بما تبغي؟

– إنني أقوم بجمع بعض المعلومات بشأن جريمة القتل.

– ولماذا؟ وفيم كل هذا العناء؟ ولماذا جئت إلينا؟

– لأنك ربما كنت تعرفين شيئا قد ننتفع به.

– إنني لا أعرف شيئا على الإطلاق. إنها لم تكن بأكثر من خادم عجوز بلهاء، كانت تحتفظ بنقودها في غرفة نومها، فسطا عليها من سطا وقتلها من أجل نقودها. لقد كانت جريمة بشعة من طراز ما نقرؤه في صحف الأحد.

فانتهز "**بوارو**" هذه الفرصة قائلا:

– مثل صحيفة "**صنداي كوميت**". هل تقرئين هذه الصحيفة؟ وقفزت عن مقعدها، واتجهت صوب الباب المفتوح المؤدي إلى شرفة الحديقة وراحت تنادي:

– "**جاي**".. "**جاي**"..!

وأجاب النداء صوت رجل من بعيد:

– "**إيف**"!

– تعال إلى هنا فورا.

وأقبل رجل في نحو الخامسة والثلاثين من عمره، وأسرع الخطى إلى الشرفة وابتدرته "**إيف كاربنتر**" قائلة بحدة:

– يوجد هنا رجل أجنبي، ولقد وجه إليّ مجموعة من الأسئلة عن حادث قتل العام الماضي. مقتل تلك الخادم العجوز.. لعلك تذكر، إنني أضيق ذرعا بمثل هذه الأسئلة كما تعرف.

وقطب "**جاي كاربنتر**" جبينه، وخطا إلى الغرفة. وكان وجهه مستطيلا أشبه بوجوه الجياد، شاحب اللون متعاليا في حركاته وسلوكه، وشعر "**بوارو**" بالنفور منه. وتقدم منه الزوج متسائلا:

– فيم كل هذه الضجة؟ هل كنت تثقل على زوجتي بأسئلتك؟

– إن آخر ما يمكن أن يجول في خاطري، هو أن أكون مصدر ضيق لمثل هذه السيدة الفاتنة، وكل ما كنت أرجوه هو أن تساعدني السيدة فيما أقوم به من تحريات؛ إذ إن المرأة القتيل كانت تعمل عندها.

– وما محور هذه التحريات..؟

فأردفت الزوجة قائلة:

– بودي لو عرفت منه ذلك.

– لقد استجد ما يدعو إلى تقصّي الحقائق عن ظروف وفاة السيدة "**ماك جنتي**".

– هراء لقد انتهت هذه القضية.

– كلا، كلا إنها لم تنته بعد.

فقطب "**جاي كاربنتر**" جبينه قائلا:

– تقول إن هناك تحريأت جديدة بواسطة الشرطة؟ هراء إنك لست من رجال الشرطة.

– صحيح. إنني أعمل مستقلا عن الشرطة.

فقالت "**إيف كاربنتر**":

– إنه يعمل لحساب الصحافة، لحساب إحدى صحف الأحد، كما قال.

وومضت عينا "**جاي كاربنتر**" ببريق الحذر. إن من كان في مثل وضعه لا يحسن به أن يخاصم الصحافة، فغير من لهجته وهو يقول:

– إن زوجتي مرهفة الحس ومثل هذه الجرائم تزعجها، ولم يكن بك حاجة لمضايقتها. إنها لا تكاد تعرف تلك المرأة.

فأردفت "**إيف**" تقول محتدة:

– إنها لم تكن أكثر من خادم عجوز بلهاء. لقد قلت له هذا. كما أنها كانت كذابة أشرة.

فتطلع "**بوارو**" إليهما وهو يقول:

– تعنين أنها كانت تعمد إلى الكذب من حين لآخر. قد يكون ذلك جديدا.

– كيف؟

– إنني أبحث عن الدافع.

– إن الدافع إلى الجريمة كان السرقة، بما لم يدع مجالا للشك.

فقال "**بوارو**" في صوت خافت، وهو ينهض عن مقعده:

– حقا؟ إنني أعتذر عما سببته للسيدة من ضيق، فإن الجرائم والحديث عنها مما لا يسر أو تتطيب له النفس.

وعقب "**كاربنتر**" بقوله:

– نأسف لعجزنا عن معاونتك.

– بل لقد عاونتماني بالكثير.

– معذرة؟ لم أدرك ما تعني؟

– لقد كانت السيدة "**ماك جنتي**" تعمد إلى نشر الأكاذيب. تلك حقيقة لها قيمتها. وبالمناسبة. ما هذه الأكاذيب يا سيدتي؟

ووقف في انتظار ما تجيب به "**إيف كاربنتر**" وأخيرا قالت:

– لا شيء ذو أهمية خاصة أعني... إنني لا أذكر شيئا، لقد كانت تثرثر بأقاويل تافهة عن الناس وتردد أشياء لا يمكن تصديقها.

الفصل الحادي عشر

جلس المفتش "**سبنس**" في مواجهة "**بوارو**"، وقال في تمهل:

– سيد "**بوارو**"، لم أقل إنك لم تتقدم خطوة. بل إنني أعتقد شخصيا أنك وفّقت بعض الشيء!

– لقد سمعت عن زجاجة الحبر بمحض المصادفة.

– ولكنها كانت بمثابة طرف الخيط الأول.. كيف كان ذلك؟

– إن تحرير الرسائل بالنسبة لك ولي من الأمور العادية، أما بالنسبة لامرأة مثل السيدة "**ماك جنتي**"، فليس أمرا عاديا.

وأطرق "**سبنس**" لحظة، ثم وضع على المنضدة أربع صور فوتوغرافية وقال:

– هذه هي الصور التي سألتني عنها... الصور الأصلية التي أخذت عنها "**الصنداي كوميت**" صورها المنشورة بها، وهي أكثر وضوحا بكل تأكيد، وإن كانت غير محدّدة السمات.

– هل تتفق معي على استبعاد "**فيرا بليك**"؟

– أجل، إذ لو كانت "**فيرا بليك**" موجودة في "**برودهيني**"، لتعرف عليها الجميع، خاصة أنها كانت مولعة بترديد قصة مأساة حياتها.

– ماذا لديك من معلومات عن الأخريات؟

– لقد حصلت لك على كل ما أستطيع من معلومات عنهن، فـ"**إيف**" كانت قد رحلت عن البلاد بعد تنفيذ الحكم في "**كريج**" واتخذت لها اسم "**هوب**".

– هل كان اسمها الحقيقي "**إيفلين**"؟

– أجل، هذا ما أعتقده، ولكنها كانت تنادى "**إيفا**" بالمناسبة، وما دمنا بصدد الحديث عنها، أحيطك علما بأن رأي الشرطة في "**إيفا كان**" يخالف ما ورد بهذا المقال.

رأي الشرطة أنها لم تكن الضحية البريئة، كما كانت تراها الجماهير. لقد كنت حينذاك في بداية حياتي العملية، وكان المفتش "**تريل**" يتولى تحقيق

قضيتها، وكان "**تريل**" واثقا بأن خطة التخلص من السيدة "**كريج**" ترجع إلى "**إيفا كان**"... وأنها هي التي قامت بوضعها موضع التنفيذ، وكان اعتراف "**كريج**" بأنه المسؤول أولا وأخيرا عن ارتكاب جريمة قتل الزوجة بعد انكشاف أمرها، تضحية جسيمة منه في سبيل عشيقته، وقد وضع "**كريج**" باعترافه حدا للتكييف القانوني للقضية، وهكذا أتقنت "**إيفا كان**" الجميلة، البريئة، تمثيل دورها.

ومهما يكن من أمر ما انتهت إليه القضية فعلا، فيمكن أن تكون شكوك المفتش "**تريل**" مصدر وحي لي عن النزعة الإجرامية لهذه المرأة.

- وعن "**جانيس كورتلاند**" فقد قمت بمراجعة الملف. وكان يتعين أن تقدم "**جانيس كورتلاند**" للمحاكمة كما قدم عشيقها، فقد كانت هي وزوجها أسوأ مثل للحياة الزوجية، ولم يكن أي منهما أفضل من الآخر. وقد نصبت شباكها حول هذا الفتى الغر إلى أن أوقعت به ودفعته إلى قتل زوجها، ويجب ألا ننسى أنه كان ثمة رجل ثري في خلفية الصورة، وكانت تريد الزواج منه بعد التخلص من زوجها.

- هل تزوجت منه؟

- لست أدري. لقد رحلت إلى الخارج، ولم نعرف عنها شيئا بعد ذلك.

- وماذا عن الصبية "**ليلي جامبول**"؟

- لم تكن تبلغ بعد سن المسؤولية الجنائية، وتقرر إلحاقها بإحدى الإصلاحيات. وكانت تقارير الإصلاحية عنها جيدة. وهناك تعلمت الاختزال والكتابة على الآلة الكاتبة، وألحقت بعمل تحت الاختبار، وآخر أخبار عنها كانت من "**أيرلندا**"، وأرى أنه يمكن استبعادها هي الأخرى كما استبعدنا "**فيرا بليك**" أليس كذلك؟

- كان بودي أن أتفق معك في الرأي، لولا هذا الساطور الذي استعملته "**ليلي جامبول**" في قتل عمتها، ولعلك تذكر أن القاتل في قضية السيدة "**ماك جنتي**" قد استعمل أداة تشبه الساطور.

وصمت "**بوارو**" قليلا ثم قال:

– المفروض أن تكون "**إيفا كان**"، إذا ظلت على قيد الحياة في الستين من عمرها، وتكون ابنتها في الثلاثين. وكذلك شأن "**ليلي جامبول**". أما "**جانيس كورتلاند**" فالمفروض أن تناهز الخمسين.. والآن لننتقل بعد هذا إلى المقيمين في "**برودهيني**" وبالذات من كانت السيدة "**ماك جنتي**" تعمل لديهم.

– هذا رأي سليم.

– إن السيدة "**ماك جنتي**" قد عثرت على صورة فوتوغرافية، لم يكن من حقها أن تطلع عليها، في أحد هذه المنازل التي كانت تعمل بها بصفة منتظمة.

– تماما.

– وتأسيسا على هذا الفرض، مع عدم إغفال واقعة السن، نبدأ بآل "**ويذربي**" حيث كانت تعمل السيدة "**ماك جنتي**" يوم وفاتها. إن سن السيدة "**ويذربي**" يضاهي سن "**إيفا كان**"، وللأولى ابنة في مثل سن ابنة "**إيفا كان**" – ابنة قيل إنها من زوج سابق. أما السيد "**ويذربي**" فهو رجل في وسعه أن يبدو ثقيل الظل متى شاء. وأما الابنة، فهي شديدة التعلق بأمها، والكراهية لزوج أمها. وقد تقدم الابنة على القتل؛ لتحول دون تسرب شيء من ماضي أمها إلى مسامع الزوج، ويمكن للأم أن تفعل ذلك لنفس السبب وهذا ما يمكن أيضا أن يفعله الزوج خشية الفضيحة.

– وهكذا يمكن أن نضع آل "**ويذربي**" في رأس القائمة.

– تماما. والسيدة الأخرى التي يمكن أن تتفق سنا مع "**إيفا كان**" هي السيدة "**أبوارد**".. وثمة اعتراضان على التسليم بأن السيدة "**أبوارد**" هي "**إيفا كان**". أولا: إن السيدة "**أبوارد**" مريضة بالنقرس، وتقضي معظم ساعات يومها فوق مقعدها المتحرك. وثانيا: إن السيدة "**أبوارد**" تبدو أبعد ما تكون عن صفات "**إيفا كان**" الخلقية، وإن قيل بأن صفات المرء قد تتغير على

مر السنين.

– بمعنى أنه لا يمكن الجزم باستبعاد السيدة "**أبوارد**". والآن إلى "**جانيس كورتلاند**".

– في رأيي، إنه يمكن استبعادها. إذ لا يوجد في "**برودهيني**" من تقاربها سنا. هذا ويوجد في "**برودهيني**" ثلاث نساء يناهزن الثلاثين من عمرهن، فهناك "**ديردر هندرسون**"، وزوجة دكتور "**ريندل**"، أو ابنة "**إيفا كان**".

– وما تقديرك الشخصي لجميع الاحتمالات؟

– إن السيدة "**ريندل**" تخشى شيئا.

– أي أنها يمكن أن تكون ابنة "**إيفا كان**" أو "**ليلي جامبول**"؟ أهي شقراء أم سمراء؟

– شقراء.

– لقد كانت "**ليلي جامبول**" طفلة شقراء.

– والسيدة "**كاربنتر**" هي الأخرى شقراء، وهي امرأة في مقتبل العمر تعنى بزينتها إلى أقصى حد، ولها عينان نفاذتان، في زرقة مياه البحار وعمقها.

– حذار يا "**بوارو**"...

– أو تعرف كيف كانت تبدو حينما انطلقت من الغرفة تنادي زوجها؟ كانت تبدو كالفراشة الحائرة، الفزعة.

– يا للخيال! يا للشاعرية! ما هذه التشبيهات الرائعة؟

– كلا، إنني رجل عملي وواقعي. إن ما أردت أن أقوله لك، هو أنه إذا ما اقتضت دواعي التجمل من المرأة أن تتخلى عن عويناتها، فإنها تتخبط تخبط الفراشة القصيرة النظر.

وأومأ بسبابته إلى الصورة الفوتوغرافية للطفلة "**ليلي جامبول**"، كما تبدو بعويناتها السميكة. فقال "**سبنس**":

– إذن، إنها مجرد احتمالات إن "**كاربنتر**" حينما قضت السيدة "**ماك جنتي**" نحبها لم تكن بعد السيدة "**كاربنتر**". لقد كانت أرملة حرب

صغيرة، رقيقة الحال، تقيم بأحد بيوت العمال، وكانت مخطوبة إلى جارها الثري، وهو رجل ذو طموح سياسي، معتد بنفسه. وإذا ما كان "**جاي كاربنتر**" قد اكتشف أنه بسبيل الزواج من فتاة وضيعة اعتدت على عمتها بساطور فقضت على حياتها، أو ابنة لـ"**كريج**" المجرم الأثيم، فهل تراه كان يقدم على مثل هذا الزواج؟ وقد تقول إنه ربما فعل هذا إذا ما كان مدلها في حب الفتاة! ولكنه ليس من هذا الطراز من الرجال. إنه رجل لا يعنيه من الحياة سوى نفسه، ومستقبله، وتحقيق أمانيه، وأعتقد أنه إذا ما كانت السيدة "**سيلكيرك**" وهذا هو اسمها حينذاك، متلهفة إلى إتمام هذه الصفقة، فإنها كانت تعمد إلى كل ما من شأنه أن يبعد عن مسامع خطيبها ما قد يسيء إليها.

- فهمت أنك تعتقد أنها هي، أليس كذلك؟

- أعود فأقول لك، إنني لست أدري، وإنني أستعرض كل الاحتمالات.

- هلا كاشفتني بحقيقة رأيك؟

- رأيي ليس هو بيت القصيد. إذ يجب أن أعرف وأتأكد. إن أمامي أكثر من طائر، ولم أستبن بعد من أوجه إليه رمحي من هذه المجموعة. ولا يجمل بمثلي أن يقع فيما يقع فيه غيره من أخطاء.

- بما يعني أنك لم تتجاوز بعد مرحلة النظريات.

- إن المشكلة أشد تعقيدا مما قد يخيل إليك، وحلها يتوقف على حساب دقيق لجميع الملابسات والظروف... من شخصية إلى عائلية إلى اعتباريه. إن جميع هذه الدوافع يجب أن تجتمع وتتجلى. ولا تنس أن هناك شخصيات جانبية لم نتحدث عنها بعد... مثل "**روبين أبوارد**". وكل شخصية من هذه الشخصيات سواء الأصلية أو الجانبية، لها وعليها، كما يقولون.

فأطرق "**سبنس**" ثم قال:

- يا له من ميدان فسيح مترامي الأطراف! إننا بحاجة إلى فسحة من الوقت، ولكننا نعرف أن الوقت لا يتسع لكل ما نبغي. إننا نريد أن تتاح لنا الفرص

لنتحرّى عن كل مشتبه فيه، ونتقصّى حقيقة حاضره وماضيه، إلى أن يصبح الاحتمال يقينا لا شك فيه.

– قد يحدث ما ليس في الحسبان.

ونهض "**بوارو**" مستأذنا في الانصراف، وهو أكثر انقباض نفس مما كان يبدو. إن ضيق الوقت يقف سدا منيعاً في وجهه الآن.. إنه بحاجة إلى فسحة من الوقت، لا سبيل إليها مع حكم بالإعدام تحدد يوم تنفيذه...

ثم يبقى بعد هذا كله الشك الذي طغت عليه الفكرة الجديدة... لماذا لا يكون "**جيمس بنتلي**" هو المجرم الحقيقي، على الرغم من كل ما تقدم به "**سبنس**" من حجج، وسلم بها "**بوارو**" مبدئيا؟

وعاد يستعيد لقاءه بـ"**جيمس بنتلي**" ماثلا في ذهنه، وهو واقف على رصيف المحطة في انتظار قطار "**كيلشستر**" ، وكان اليوم يوم سوق والرصيف مزدحما.

وفجأة شعر بيد تدفعه بقوة في ظهره، وكانت من العنف بحيث كادت أن تلقي به فوق القضبان في طريق القطار القادم، لولا أن يدا أمسكت به لتقيه من عثرته في الوقت المناسب.

وشكر للرجل صنيعه. وكان منقذه جاويشا في الجيش، وأخذ الجندي بيد "**بوارو**" وهو يستقل القطار إلى أن أجلسه في مقعده.

• ولم يكن ثمة شك في أن مقابلاته في "**برودهيني**" قد أسفرت عن نتيجة لا مرية فيها ألا وهي أن واحدا ممن التقى بهم قد بلغ به الخوف إلى حد التفكير في إنهاء حياة الرجل الذي جاء ينبش الماضي ويثير ما كمن منه.

ومن محطة سكة حديد "**برودهيني**" اتصل "**بوارو**" تليفونيا بالمفتش "**سبنس**" :

– استمع إليّ جيدا... فلدي أنباء لك.. أنباء رائعة. إن أحدهم قد حاول قتلي..

وأنصت راضيا إلى تعقيبات المفتش "**سبنس**"، ثم أردف قائلا:

- كلا، لم أصب بأذى، غير أنني كنت قاب قوسين أو أدنى من الموت... أجل، تحت عجلات القطار. كلا، لم أتحقق من الفاعل، ولكن ثق يا صديقي، بأنني سوف أعرف من هو... إننا واثقون الآن بأننا نسلك الدرب الصحيح.

الفصل الثاني عشر

- 1 -

كان التعاون يمضي قدما في "**لابورنومز**" منزل آل "**أبوارد**" بين "**روبين أبوارد**" والسيدة "**أوليفر**" في وضع المسرحية المقتبسة عن قصة لهذه السيدة.

قال "**روبين**" :

- لعلك ترين براعة هذا الموقف؟ وإذا ما تسنَّى لنا أن نوقظ الفتنة الجنسية بين الفتى والفتاة فإن ذلك سوف يدفع بالموقف إلى الذروة.

وكانت السيدة "**أوليفر**"، شاردة الذهن، فأجابت متجهمة :

- أدرك ما تعني.

- لكن المهم أن ألمس تحمسك لهذا الرأي، وسعادتك به.

ولم يكن في وسع السيدة "**أوليفر**" أن تبدو راضية، سعيدة ما لم تكن ممثلة ناجحة. لقد كانت ساهمة الطرف؛ لأن ذهنها لم يهضم الفكرة. حاول الكاتب المسرحي جاهدا أن يقنع كاتبة القصة الأصلية بوجهة نظره، ودارت بين الاثنين مناقشة طويلة حول الموقف المقترح، وما يريد "**روبين**" أن يدخله عليه من تعديلات إلى أن ضاقت السيدة "**أوليفر**" بهذا الجدل العقيم، فنهضت قائلة :

- إنني بحاجة إلى بعض الهواء الطلق.

- هل أصحبك..؟

- كلا.. أريد أن أنطلق بمفردي.

- كما تشائين. ربما كنت على صواب.. وسأنصرف إلى والدتي؛ حتى لا تشعر بأنها أُهملت، إنها تحب أن تشعر بأنها موضع الرعاية، وسوف يتسع لنا

الوقت لتدبر الموقف التمثيلي في هدوء، وسيكون موقفا رائعا.

– أرجو أن أقتنع بذلك.

وبعد أن ألقت بمعطفها فوق كتفيها، انطلقت تتجول في "**برودهيني**"، ورأت أن خير وسيلة لتنفض عنها متاعبها، لن تكون بغير التركيز في عالم الواقع، بما ينأى بها عن عالم القصة والخيال. إن "**هيركيول بوارو**" بحاجة إلى العون، وعليها الآن أن تقوم باختبار سكان "**برودهيني**" ودراسة شخصياتهم؛ لعلها تستطيع بوازع من إلهامها الذي لم يتخل عنها من قبل أن تتعرف على القاتل الحقيقي وتقدمه إلى "**بوارو**"، ومن ثم لا يبقى عليه سوى أن يقيم الدليل القاطع على جرمه.

وبدأت السيدة "**أوليفر**" تنفيذ خطتها بالاتجاه صوب مكتب البريد؛ لابتياع بعض الطوابع. وأثناء عملية الشراء، راحت تتجاذب أطراف الحديث مع السيدة "**سويتيمان**"، وتعمدت في حديثها أن تحيط السيدة "**سويتيمان**"، علما بأنها تقيم في منزل آل "**أبوارد**". فقالت السيدة "**سويتيمان**":

– أجل، أعرف ذلك، إنك السيدة القادمة من "**لندن**"، والتي تقوم بكتابة قصص الجريمة.

فقالت السيدة "**أوليفر**":

– لقد حدثت في بلدتكم جريمة قتل، فيما علمت؟

– أجل، في شهر نوفمبر (تشرين الثاني) الماضي.. لقد كانت على مقربة من هذا المكتب.

– سمعت بأنه يوجد شرطي سري في القرية لإعادة التحري في هذه القضية، فهل هذا صحيح؟

– أتعنين هذا الرجل الأجنبي المقيم في "**لونج ميدوز**"؟ لقد كان هنا بالأمس..

وكفَّت السيدة "**سويتيمان**" عن مواصلة الكلام لقدوم عميل آخر..

وأسرعت إلى الناحية الأخرى قائلة:

– سعدت صباحا يا آنسة "**هندرسون**".. الطقس دافئ اليوم.

– أجل.

وتأملت السيدة "**أوليفر**" ظهر الفتاة الطويلة، وسمعت السيدة "**سويتيمان**" تسألها:

– كيف حال السيدة "**ويذربي**"..؟

– على ما يرام، شكرا.. إنها لا تغادر الدار كثيرا.

– يوجد فيلم ممتاز في سينما "**كيلشستر**" هذا الأسبوع. يجب أن تشاهديه.

– لقد كنت أفكر في مشاهدته الليلة الماضية..

وبعد انصراف الفتاة، قالت السيدة "**أوليفر**":

– هل السيدة "**ويذربي**" مريضة؟

– يقولون هذا... إنه الفراغ يا سيدتي.

– وهذا ما أراه فعلا.. ولطالما أشرت على السيدة "**أبوارد**" بمحاولة النهوض عن مقعدها والاعتماد على ساقيها.

– إنها تغادر مقعدها حينما تريد.. هذا ما سمعت به.

– أحقًّا؟ أتراك سمعت ذلك من وصيفتها "**جانيت**"؟

– أجل.. إن "**جانيت جروم**" تضج بالشكوى أحيانا.. إنها عانس متقدمة في السن، وتشكو من روماتيزم شديد.. أما السيدة "**ويذربي**"، فتشكو من داء النقرس، الذي يصفونه بأنه مرض الخاصة المترفين.. إنني أرى أنها مجرد أوهام فراغ، لا يجد من هم مثلنا متسعا من الوقت للتفكير فيها.

– إنني متفقة معك في هذا الرأي.

وغادرت مكتب البريد في أعقاب "**ديردر هندرسون**"، وكان من اليسير على السيدة "**أوليفر**" أن تنخرط في حديث مع الآنسة "**هندرسون**"، مستغلة الكلب الذي معها. ونجح الأسلوب وتم التعارف على نحو طبيعي لا

يثير الريبة، وقالت "**ديردر هندرسون**" متسائلة:

– أنت.. أنت إذن "**أريادن أوليفر**". أليس كذلك؟

– بلى، وأقيم مع آل "**أبوارد**".

– أعرف هذا.. لقد حدثنا "**روبين**" عن قدومك.. وأحب أن أصارحك بأنني جدّ معجبة بقصصك.

– يسرني سماع هذا منك.

– ومع هذا، فإنه لم يتيسر لي قراءة الكثير منها؛ لأننا لا نحصل على ما نبغي منها، بسبب كراهية والدتي للقصص البوليسية؛ إذ إنها تثقل على أعصابها وتقض مضجعها. أما أنا فجد مولعة بها.

– لقد شاهدتم جريمة حقيقية هنا، أليس كذلك؟ أي نوع من الأكواخ كان مسرحا للجريمة..؟

– هذا الكوخ هنالك.

وأومأت "**ديردر هندرسون**" إلى كوخ السيدة "**ماك جنتي**"، الذي راحت السيدة "**أوليفر**" تنظر إليه ثم قالت:

– إنه لا يبدو كبيت كان مسرحا لجريمة قتل..

– كلا إنه لا يبدو كذلك فعلا..

وكان واضحا أن المرأتين على وفاق في الرأي، وأردفت السيدة "**أوليفر**" قائلة:

– كانت القتيل خادما عجوزا كما سمعت، وقد سطا عليها شخص ما لسلب نقودها؟

– إن الفاعل هو الساكن المقيم في منزلها، وكانت تحتفظ ببعض النقود في منزلها تحت أرضية الغرفة.

– هكذا.

غير أن "**ديردر هندرسون**" انفجرت تقول فجأة:

غير أنه يمكن ألا يكون الفاعل الحقيقي. يوجد رجل أجنبي غريب الأطوار

في هذه الناحية يدعى "**هيركيول بوارو**".

– "**هيركيول بوارو**"..؟ إنني أعرف كل شيء عنه.

– هل هو حقيقة شرطي سري..؟

– إنه من كبار رجال الشرطة السريين في العالم.

– إذن، فقد يوفَّق الرجل إلى إثبات أنه ليس بالفاعل الحقيقي.

– من تعنين؟

– الساكن المتهم.. "**جيمس بنتلي**".. لكم أرجو أن تظهر براءته. حقا..؟ ولماذا..؟

– يقول ذلك.

– لأنني لا أريد أن يكون هو الفاعل الحقيقي، ولطالما رجوت ذلك. وبوغتت السيدة "**أوليفر**" بما سمعته وما لمسته في نبرات صوت الفتاة.. وقالت:

– هل كانت لك به معرفة سابقة..؟

– كلا.. لم تكن لي به معرفة.. غير أنه تصادف أن أطبق فخ على ساق كلبي فساعدني على إنقاذه وتبادلنا حديثا قصيراً.

– وكيف كان يبدو..؟

– كان واضحاً أنه يشعر بوحدة شديدة، وأنه كان يندب كثيرا والدته التي توفيت حديثا.

– وهل هذا هو شأنك مع والدتك؟

– أجل.. وهذا ما جعلني أدرك حقيقة مشاعره.

– أعتقد أن "**روبين**" حدثني عن زوج أمك.

فقالت "**ديردر**" والمرارة تبدو في لهجتها:

– أجل... إنها متزوجة من السيد "**ويذربي**" منذ كنت في الرابعة من عمري، لقد توفي والدي قبل أن أولد، ولم أشعر نحو هذا الرجل الدخيل بغير الكراهية. والدتي ليست سعيدة معه. إنهما غير متعاطفين أو متفاهمين. إن

زوج أمي رجل مجرد من المشاعر، غليظ القلب، بارد الطباع.

فأومأت السيدة "**أوليفر**" برأسها وهي تتمتم:

– إذن فإن "**جيمس بنتلي**" لا يبدو بالرجل المجرم.

– ما كنت أتوقع قط أن الشرطة ستلقي القبض عليه، وإنني لواثقة بأن الشرطة قد أخطأت فيما فعلت.

فقالت لها السيدة "**أوليفر**" مواسية:

– ربما وفق "**هيركيول بوارو**" في الكشف عن الحقيقة.

– أجل، ربما...

وكانتا قد بلغتا من سيرهما باب "**هنترز كلوز**"، حيث تقيم "**ديردر هندرسون**" ووقفت السيدة "**أوليفر**" تتابع بنظراتها الآنسة "**هندرسون**" لحظة، ثم أخرجت مفكرة من حقيبة يدها، دونت بها: «ليست هي "**ديردر هندرسون**"»، ووضعت أسفل كلمة «ليست هي» خطا سميكا.

- 2 -

وفي منتصف الطريق أثناء عودتها، التقت بـ"**روبين أبوارد**" وبصحبته سيدة أنيقة شقراء، في مقتبل العمر وقام بتقديم كل منهما إلى الأخرى.

قال:

– "**إيف**" هذه هي "**أريادن أوليفر**" الرائعة، إنها رائعة في كل شيء تجيد كتابة قصصها وكأنها ضالعة في عالم الجريمة، هذه هي "**إيف كاربنتر**" زوجها مرشح لعضوية البرلمان بدلا من "**سير چورچ**" العجوز المتصابي.

إن "**إيف**" تدعونا لقضاء الأمسية بمنزلها، إنها أمسية تحية لك. فقد كنا نتوق إلى زيارتك لقريتنا. ألا يمكن أن تجعلي من "**برودهيني**" مسرحًا لقصتك البوليسية التالية؟

وتضامنت معه "**إيف كاربنتر**" في اقتراحه، واستطرد "**روبين**" قائلا:

– ويمكن أن تجدي هنا من الشخصيات ما يلائمك، ولديك مثلا "**هيركيول بوارو**" المقيم بمنزل آل "**سمر هايز**".. إننا في طريقنا إليه؛ لتُصلح "**إيف**" من خطئها في حقه بالأمس بدعوته إلى حفل الليلة؛ لأنها كانت تجهل حقيقة أمره. هل اتفقنا على أن تكون "**برودهيني**" مسرحا لأحداث قصتك التالية؟ أرى أن "**إيف**" متحمسة لهذه الفكرة ترى من سيكون القاتل ومن سيكون المجني عليه؟

فتساءلت السيدة "**أوليفر**"، وهي تواصل طريقها معهما:

– من يا ترى خادمتكم العجوز؟

– كلا، كلا، إننا لا نريد مثل هذه الجرائم البعيدة عن الإثارة، أعتقد أن "**إيف**" خير من تصلح لشخصية المجني عليها.

فقالت له "**إيف**":

– ولم لا تكون أنت المجني عليه في المسرحية القادمة؟

فأجابها "**روبين**":

– إننا لم نستقر بعد على شخصية القاتل. ماذا ترين في والدتي..؟ إنها تستعمل المقعد المتحرك وهكذا لن يكون هنالك آثار أقدام.

– ولم لا تكون أنت المجني عليه و"**ديردرهندرسون**" هي القاتلة البعيدة عن كل مظنة.

– "**أرديان**" لقد مهدنا لك السبيل، ولم يبق عليك سوى أن تستكملي صياغة القصة أحداثا وكتابة.

وكانوا قد بلغوا من سيرهم باب "**لونج ميدوز**"، واندفع نحوهم كلبان كبيران ينبحان.

وخرجت إليهم "**مورين سمر هايز**" محاولة أن تبعد الكلبين عنهم، معتذرة عما سبباه لهم من إزعاج. وبعد أن توقفت "**مورين**" عن ثرثرتها، قالت "**إيف**" تحدثها:

– هل تتفضلان، أنت وزوجك بقضاء السهرة معنا؟

– بكل سرور.

وأردف "**روبين**" قائلا:

– وللاجتماع بالسيدة "**أوليفر**"، وإن كان يمكن أن تلتقي بها الآن ها هي.

فقالت "**مورين**":

– حقا..؟ يا للمفاجأة! إنك تقومين بالاشتراك مع "**روبين**" في إعداد مسرحية، أليس كذلك؟

فعقب "**روبين**" بقوله:

– وسوف تكون مسرحية رائعة يا "**أريادن**"، بهذه المناسبة، لقد طرأت ببالي صباح اليوم فكرة عن توزيع الأدوار.

وانبرت "**إيف**" تقول لـ"**مورين**" متجاهلة هذا الحديث الفني:

– أريد أن ألتقي بضيفك.. هل هو بالداخل..؟ لأنني أريد أن أدعوه هو الآخر لهذه السهرة.

– سوف نصطحبه معنا.

– أفضل أن أوجه إليه الدعوة شخصيا.. في الواقع إنني كنت جافة معه بالأمس.

– إنه ما زال بالخارج.. أم لعله عاد من حيث لا أدري، كما يفعل أحيانا.. سأتحقق من ذلك.

الفصل الثالث عشر

اقتربت السيدة "**أوليفر**" وكأسها في يدها من "**هيركيول بوارو**" قبيل نهاية السهرة بمنزل آل "**كاربنتر**" وقالت له هامسة:

– هيا بنا إلى الشرفة.

في الوقت نفسه وضعت في يده قصاصة من الورق، ثم اتجها معا إلى الشرفة. وفض "**بوارو**" قصاصة الورق، ليقرأ مدونا بها دكتور "**رينديل**"، وتطلع إلى السيدة "**أوليفر**" متسائلا. فأومأت السيدة "**أوليفر**" برأسها في

حركة عنيفة، أسدلت خصلة من شعرها الأشيب فوق وجهها، وأردفت تقول:

– إنه القاتل.

– أو ترين هذا..؟ على أي أساس..؟

– هذا ما أدركه... إنه رجلنا قلبا وقالبا.

– ربما.

وكانت لهجة "**بوارو**" تنبئ عن عدم اقتناعه، وهو يستطرد قائلا:

– وماذا تقولين عن الدافع؟

– السلوك المعيب مهنيا. وقد علمت السيدة "**ماك جنتي**" بذلك.. ومهما يكن من أمر الدافع، فكن واثقا بأنه الفاعل.

فقال "**بوارو**":

– في الليلة الماضية، حاول أحدهم دفعي إلى خط السكة الحديد بمحطة "**كيلشستر**".

– رباه..! بقصد قتلك؟

– ليس في ذلك من شك.

– وكان دكتور "**ريندل**" في الخارج لعيادة مريض، فيما أعلم.

– أجل أعرف هذا.

– إذن فقد وضحت الأمور.

– ليس كما ترين على وجه التحديد. إن كلا من السيد والسيدة "**كاربنتر**" كانا أيضا في "**كيلشستر**" الليلة الماضية، وعاد كل منهما إلى المنزل بمفرده، ولا يعرف أحد إذا ما كانت السيدة "**ريندل**" قد غادرت منزلها من عدمه، والآنسة "**هندرسون**" تتردد كثيرا على "**كيلشستر**" لمشاهدة الأفلام.

– إنها لم تغادر منزلها الليلة الماضية، كما علمت منها.

– لا يجب أن تصدقي كل ما يقال لك. لقد كانت "**فريدا**" الخادم الأجنبية

في السينما في الليلة الماضية، فهي لا تستطيع أن تخبرنا من غادر أو لم يغادر "**هنترز كلوز**" الليلة الماضية! لعلك ترين معي أنه ليس من اليسير الجزم بشيء معين.

– ومتى حدث ذلك لك؟

– في تمام الساعة التاسعة والنصف.

– معنى هذا أنه يمكن استبعاد كل من "**روبين**" ووالدته اللذين كانا يقضيان ما بين الساعة الثامنة والعاشرة والنصف في لعب الورق معي، وهذا التحديد الزمني لا يدع مجالا للشك.

وأبصر بالسيدة "**سمر هايز**" مقبلة نحوهما تحمل كأسها بيدها قائلة:

– إنني أحب مثل هذه السهرات، التي نادرا ما تجمعنا في "**برودهيني**". إنها لا تقام إلا في المناسبات، كمناسبة وجودكما في هذه البلدة معا. بودي لو تسنّى لي تأليف الكتب.. إنني لا أتقن شيئا..

فقال لها "**بوارو**":

– ولكنك خير زوجة وخير أم يا سيدتي..

– أحقا؟ وهل في هذا الكفاية؟

فسعل "**بوارو**" ولم يعقب بشيء، وانطلق لسان السيدة "**سمر هايز**" بتأثير الخمر، فراحت تطرق شتى الموضوعات المنزلية، والتربوية، ثم عرجت على موضوع أثارته إحدى السيدات في إحدى المجلات النسائية، إذ تساءلت: هل من الأفضل أن تتخلى الأم عن طفلها وتسمح بأن تتبناه أسرة تستطيع أن تنفق بسخاء على تربيته وتعليمه، وأن تهيئ له حياة مترفة سعيدة؟ أو أن تحتفظ به لنفسها وهي التي لا تسمح لها إمكاناتها المادية بأن تقدم له شيئا من ذلك؟

وقالت "**مورين**" ردا على هذا التساؤل.. إنه تساؤل سخيف وأنه إذا استطاعت الأم أن تقدم لطفلها الطعام الكافي فذلك هو المهم.

ثم استطردت قائلة وهي تحدق إلى كأسها وكأنها تحدق النظر إلى كرة

بللورية:

– كان ينبغي أن أعرف... فقد كنت طفلة بالتبني. وقد تخلت عني أمي لأسرة هيأت لي حياة رغدة.. ولكنني كنت دائما أشعر بالمذلة والهوان؛ لإحساسي بأن أمي لم تكن تريدني وأنها تخلت عني.

فقال "**بوارو**":

– لعلها كانت تضحية منها لمصلحتك.

– لا أصدق هذا. إنه قول يلتمسون به الأعذار والسلوى. كيف يتسنى لأم مهما كانت الظروف أن تتخلى عن ابنتها؟ إن مجرد التفكير في هذا يؤذي شعوري. إنني ما كنت لأتخلى عن أحد من أطفالي، في مقابل كل ما في العالم من أموال!

فقالت السيدة "**أوليفر**":

– ليس من شك في أنك محقة فيما تقولين.

وأردف "**بوارو**" قائلا:

– وأنا أيضا من أنصار هذا الرأي.

فقالت "**مورين**" مبتهجة:

– إذن فقد اتفقنا.

وأقبل "**روبين**" ينضم إليهم قائلا:

– فيم كان الجدل؟

فقالت له "**مورين**":

– في موضوعٍ التبني... إنني لا أقر هذا الأسلوب. هل تقره..؟

– أليس خيرا من أن يظل الإنسان يتيمًا، لا عائل له؟ ألا ينبغي لنا أن ننصرف الآن يا "**أريادن**"؟

وانصرف الضيوف جماعة.. وكان الدكتور "**ريندل**" قد سبقهم إلى مغادرة الدار.. وسار الضيوف يتضاحكون ويتسامرون في مرح ونشوة.. وعندما بلغوا من سيرهم باب منزل "**روبين**" ألح عليهم في الدخول قائلا:

– لكي نحكي لوالدتي كل ما كان في الحفل، فنخفف عنها ما شعرت به من سأم لعدم استطاعتها الاشتراك معنا.

واستجابوا لسؤاله، وبدت السيدة "**أبوارد**" سعيدة بزيارتهم، سألت:

– من كان هناك غيركم؟ آل "**ويذربي**"؟

– كلا، فقد كانت السيدة "**ويذربي**" منحرفة المزاج، وأبت الآنسة "**هندرسون**" أن تحضر بمفردها.

فعقبت "**شيلا ريندل**" بقولها:

– إنها فتاة عاطفية، أحق بالرثاء..

فقالت "**مورين**":

– إن الخطأ خطأ أمها.. هنالك أمهات يلتهمن أبناءهن التهاما..

وانخرط الجميع في حديث عن بعض مظاهر الحنان الطاغي، وعرج الحديث بهم إلى تأثير الوراثة إلى أن قطعت السيدة "**أبوارد**" برأي في الموضوع الأخير بقولها:

– إن العبرة بالوراثة.. أما البيئة فقد تكون عاملا مقويا فقط. وعارضت هذا الرأي "**شيلا ريندل**".. واشترك الجميع في المناقشة كل يدلي برأيه، وأيد "**چوني سمر هايز**" السيدة "**أبوارد**" في رأيها من أن الوراثة والنشأة الأولى هما أهم العوامل في تكوين الإنسان. وامتد بهم الجدل إلى أن شعروا بأنه من الخير التحول إلى موضوع آخر، فقال قائل منهم:

– السيد "**بوارو**" هلا حدثتنا عن السيدة "**ماك جنتي**"؟ ولماذا لم يكن هذا الساكن هو الذي قام بقتلها؟

وأردف "**روبين**" يقول:

– لطالما التقيت به بين المزارع والحقول، وكنت أرى فيه رجلا غريب الأطوار.

وسمع "**بوارو**" رجلا آخر يقول له:

– لابد أن لديك من الأسباب ما حدا بك إلى الاعتقاد بأنه لم يقتل السيدة

"**ماك جنتي**" . هلا صارحتنا بما لديك من هذه الأسباب؟

وابتسم "**بوارو**" قائلا وهو ينقل بصره من متسائل إلى آخر:

– إذا لم يكن هو القاتل، فمن عساه أن يكون القاتل الحقيقي؟ هذا هو السؤال.

فقالت السيدة "**أبوارد**" محتدة:

– كفاكم إحراجا للرجل.. ألا يُحتمل أنه يشك في واحد منا؟

– واحد منا؟

والتقت عينا "**بوارو**" بعيني السيدة "**أبوارد**" .. وقرأ في عينيها نظرات الدعابة والتحدّي معا. وأردف "**روبين**" قائلا باستخفاف:

– إنه يشك في واحد منا.. والآن "**مورين**" أين كنت ليلة..

فأسرع "**بوارو**" يقول:

– ليلة 22 نوفمبر (تشرين الثاني) .

فأجابت "**مورين**" :

– رباه.. لست أذكر، ومن ذا الذي يذكر بعد هذه الفترة الطويلة؟

فقال "**روبين**" معقبا:

– أما أنا فبوسعي ذلك؛ لأنني كنت أقوم بإذاعة حديث المسرح من مدينة "**كولبورت**" . وكان حديثي يتناول موضوع مقتل خادم "**جلزورني**" في مسرحية «**الصندوق الفضي**»، بإفاضة.. وحدث أن قتلت السيدة "**ماك جنتي**" في اليوم التالي، فتساءلت ما إذا كانت الخادم في المسرحية تشبه السيدة "**ماك جنتي**" في قليل أو كثير؟

فقالت "**شيلا ريندل**" :

– تماما.. وأذكر الآن أنك قلت إن والدتك ستشعر بالوحدة؛ لأن تلك الليلة كانت يوم راحة "**جانيت**" ، فقدمت في تلك الليلة لأونس وحدتها. وفي اليوم التالي حينما سمعت بمقتل السيدة "**ماك جنتي**" تبادر إلى ذهني أنني ربما التقيت بالقاتل في الظلام؛ لأننا كنا نحسب، بادئ الأمر أن أفَّاقا قد

قام بالسطو على منزلها.

فقالت "**مورين**":

– أما أنا فمازلت لا أذكر شيئا عن تلك الليلة، ولكني أذكر ما كان من أمري في صباح اليوم التالي، حينما علمت من الخباز بنبأ مقتلها.. إنني أرتعد خوفا لمجرد استعادة هذه اللحظات.

وكان "**بوارو**" منصرفا إلى تأمل السيدة "**أبوارد**"، كان يرى فيها امرأة لا تعرف الرحمة. أنانية.. لا يعرف الندم إلى قلبها سبيلا، وأيقظه من تأملاته صوت "**شيلا ريندل**" وهي تسأل:

– سيد "**بوارو**" هل عثرت على أدلة جديدة؟

– ما دمتم تريدون الأدلة فإليكم ما تريدون.

وأخرج "**بوارو**" من جيبه أربع صور فوتوغرافية، ألقى بها فوق المنضدة بحركة مسرحية، وأسرعوا إلى المنضدة يتدافعون حولها مرددين ملاحظاتهم عما بالصور من ثياب، وقبعات، وزينة، متسائلين عمن عساهن أن يكن وعن حقيقة أمرهن، وكان "**بوارو**" يتأمل وجوه الملتفين حول المنضدة، ولكنه لم ير فيها شيئا لم يكن يتوقعه. فسألهم:

– ألم تتعرفوا على أي منهن؟

– نتعرف؟

– ألا تذكرون أنكم رأيتم هذه الصور الفوتوغرافية أو أيا من صاحباتها من قبل؟ أرى أن السيدة "**أبوارد**" تريد أن تقول شيئا؟

فترددت السيدة "**أبوارد**" قبل أن تقول:

– أجل.. أظن..

– أي منهن؟

فأومأت بسبابتها إلى صورة "**ليلي جامبول**" الطفلة بعويناتها.. فقال:

– هل رأيت هذه الصورة الفوتوغرافية من قبل؟.. متى كان ذلك؟

– حديثا.. ترى أين؟ كلا.. لست أذكر.. ولكنني واثقة بأنني رأيت

صورة فوتوغرافية طبق الأصل من هذه.

وجلست مقطبة الجبين، عاقدة ما بين حاجبيها، وتنبهت من استغراقها على صوت السيدة "**ريندِيل**" التي أقبلت عليها قائلة:

– إلى اللقاء يا سيدة "**أبوارد**".. أرجو أن تتناولي معي قدحا من الشاي إذا ما تسنَّى لك هذا صحيا يوما ما..

– شكرا.. على أن يوافق "**روبين**" على دفع مقعدي المتحرك..

فقال "**روبين**":

– بكل تأكيد يا أماه.. إن دفع هذا المقعد يقوِّي من عضلاتي. هل تذكرين يوم توجهنا إلى آل "**ويذربي**" وكانت...

وفجأ قالت السيدة "**أبوارد**":

– آه..!

– ماذا بك يا أماه..؟

– لا شيء.. واصل حديثك.

وبعد أن استطرد "**روبين**" في وصف ما عاناه في ذلك اليوم الممطر، واستأذنوا جميعا في الانصراف، وانطلقوا وهم يضحكون.

ودار بخلد "**بوارو**" أن الشراب عادة ما يطلق الألسنة من عقالها. أتراه كان مصيبا أم مخطئا في عرض هذه الصور الفوتوغرافية؟ إنه لا يعرف الإجابة عما يدور بذهنه من أسئلة واعتذر لصحبه بأنه مضطر إلى أن يقفل راجعا.

وعاد أدراجه إلى الباب الخارجي واتجه عبر الممشى إلى المنزل، وسمع عبر النافذة المفتوحة عن يساره صوت حديث بين اثنين، وتبين أن الحديث يدور بين "**روبين**" والسيدة "**أوليفر**"، ودفع "**بوارو**" باب المنزل، واتجه إلى يمينه، حيث توجد الغرفة التي غادرها لتوه. وكانت السيدة "**أبوارد**" جالسة أمام المدفأة، وهي متجهمة الوجه، مستغرقة في تأملاتها بحيث أفزعها قدومه، ولم تشعر به قبل أن يسعل معتذرا.

وبادرته قائلة:

– أهذا أنت..؟ لقد أفزعتني.

– معذرة يا سيدتي.. لمن عساها أن تكون الصورة الفوتوغرافية؟

ولم تجب عن سؤاله، بل قالت:

– هل تركت وراءك شيئا؟

– لقد تركت ورائي الخطر.

– الخطر..؟!

– الخطر على حياتك؛ لأنك تعرفت على إحدى تلك الصور.

– لم أقل إنني تعرفت.. إن الصور كلها متشابهة.

– استمعي إليّ يا سيدتي.. إن السيدة "**ماك جنتي**" هي الأخرى قد تعرفت على إحدى هذه الصور.. والسيدة "**ماك جنتي**" الآن في عداد الموتى.

وفوجئ بها تردد الأغنية وقد ومضت عيناها بسخرية:

– السيدة "**ماك جنتي**" ماتت.. كيف ماتت؟ لقد برز رأسها كحرف الألف. هل هذا ما تعنيه؟

– أجل. لئن كنت تعرفين شيئا، فأحرى بك أن تصارحيني به.. إن في هذا الخير كل الخير لك.

– إن الأمر ليس بالبساطة كما قد يبدو، فأنا لست واثقة بأنني أعرف شيئا.. لست واثقة بواقعة معينة على وجه التحديد.. إن الذكريات الغامضة خداعة، خطرة.. وعلى المرء أن يتثبت من كيف، وأين، ومتى كان ذلك؛ لكي تختمر لديه فكرة معينة.

– إنه ليبدو لي أن هذه الفكرة قد اختمرت فعلا لديك.

– إن الأمر أبعد من هذا المدى.. ثمة عدة عوامل مختلفة يجب أن تؤخذ في الاعتبار يا سيد "**بوارو**"، لا جدوى مما تدفعني إليه.. فلست أنت الذي لا يتأنى قبل الجزم برأي معين.. إنني أحب التريث والأناة، وعندما أقرر أمرا فإنني أقدم عليه.. ولكن ليس قبل ذلك.

– مهما يكن من أمر، فإنني أرى فيك سيدة كتوما.

– ربما.. إلى حد معين.. إن المعرفة سلاح قوي.. وهذا السلاح لا يجب أن يساء استعماله.. وأرجو أن تغفر لي إذا قلت لك إنك لا تدرك أو ليس لك إلمام بجوانب حياتنا الريفية أو الإنجليزية عموما.

– أو في معنى آخر. إنك تريدين أن تقولي لي، إنني لست سوى أجنبي عن هذه البلاد.

فابتسمت السيدة "**أبوارد**" قائلة:

– ما أظنني ببالغة هذا الحد من الغلظة والخشونة.

– إذا لم تكن بك رغبة في مصارحتي بشيء، فأمامك المفتش "**سبنس**".

– كلا.. إننا لم نبلغ بعد هذه المرحلة.

– لا تنسي أنني حذرتك.. وأعيد القول عليك بأن تأخذي حذرك. ذلك لأنه كان واثقا. في تلك اللحظة بالذات، بأن السيدة "**أبوارد**" تدرك تمام الإدراك متى وأين وقع نظرها على صورة "**ليلي جامبول**" الفوتوغرافية.

الفصل الرابع عشر

- 1 -

قرر "**هيركيول بوارو**" فيما بينه وبين نفسه في صباح اليوم التالي، أن مخاوفه في الليلة السابقة لم تكن على أساس، وأن السيدة "**أبوارد**" سيدة متزنة تستطيع أن تعنى بنفسها، وتلتزم جانب الحذر.

ومع ذلك فقد كان في نواح أخرى في حيرة من أمرها، وشعر بالعجز عن إدراك كُنه مشاعرها. وكان واضحا، أنها لا تريد أن تكشف له دخيلة نفسها، وأنها قد تعرفت على إحدى الصور، وعقدت العزم على أن تنفرد بالعمل.

وتغير الطقس فجأة، واختفت الشمس، وسادت البرودة الجو، مما حدا بـ"**بوارو**" أن يعود أدراجه إلى البيت.

إنه بحاجة إلى أن يتثبّت من كل ما تبادر إلى ذهنه.. وليته يستطيع العثور على السلاح الذي استعمل في الجريمة.

وفي تلك اللحظة بالذات خيل إليه بما يشبه اليقين أنه أبصر أداة القتل، الأداة التي ارتكبت بها الجريمة.

- 2 -

ولقد تساءل فيما بعد عما إذا كان قد وقع نظره على أداة الجريمة في مكانها هذا من قبل، وغفل عن وجودها حيث كانت منذ قدومه إلى "**لونج ميدوز**" ...

لقد كانت هناك فوق رف الكتب القائم بالقرب من النافذة. التقطها وفحصها، ورفعها إلى أعلى في وضع التأهب للضرب... وأقبلت "**مورين**" تلهث كعادتها، وفي أعقابها كلباها، قائلة:

– أو تعبث بمطرقة السكر؟

– إذن فهي مطرقة سكر!

– أجل، إنها مطرقة السكر.

وراح "**بوارو**" يقلب الأداة بين يديه، فاحصا، ممعنا النظر في نقوشها النحاسية، وفي حافتها الحادة، بينما كان يزن ثقلها، وكانت مرصعة هنا وهناك ببعض الأحجار الملونة ما بين زرقاء وحمراء، وعلى قمتها تمثال طائر صغير فيروزي العينين. وأخيرا قالت "**مورين**":

– إنها أداة جميلة تصلح لقتل أي إنسان، أليس كذلك؟..

ومدت يدها تتناولها منه؛ لتوجه ضربة قاتلة غير هادفة في الفضاء، ثم عقبت قائلة:

– في غاية السهولة.. أعتقد أنه بوسعك أن تشج بها رأس من تشاء. أليس كذلك؟

وتطلع "**بوارو**" إلى وجهها منبسط الأسارير وهي تستطرد:

– لقد حذرت "**چوني**" مما قد يتعرض له إذا ما ضقت ذرعا به.. إنني أطلق على هذه الأداة اسم (خير صديق للزوجة)!..

وضحكت ثم أعادت المطرقة إلى مكانها، واتجهت صوب الباب وهي تقول:

– ترى ماذا أتى بي إلى هنا؟.. لقد نسيت ما جئت من أجله.. يحسن بي أن أنصرف الآن لتفقد الطعام قبل أن يحترق.

واستوقفها "**بوارو**" متسائلا:

– هل جئت بهذه المطرقة معك من "**الهند**"؟

– كلا.. لقد حصلت عليها من الأبرشية في عيد الميلاد، عن طريق المبادلة بما يكون في غنى عنه. لقد حصلت عليها مع إناء للقهوة، وأعتقد أنهما صناعة عراقية أو فارسية على حد قول آل "**ويذربي**".

– هل أفهم من هذا أن المطرقة والإناء كانا من الحاجيات التي استغنى عنها آل "**ويذربي**"؟

– أجل.. إن لديهم من مثل هذه الأشياء الكثير... يجب الآن أن أنصرف.

وأسرعت بالانصراف.. وصفقت الباب خلفها.. وعاد "**بوارو**" يلتقط المطرقة ويتجه بها إلى النافذة.

تبين فوق حافتها بقعا لا تكاد ترى.. وأومأ برأسه راضيا. وتردد قليلا قبل أن يحمل المطرقة معه إلى غرفته، حيث وضعها بعناية في صندوق قام بتغليفه وحزمه، وهو واثق بأن أحدا لن يتبين اختفاء المطرقة في هذا البيت الذي تعمه الفوضى.

- 3 -

وفي "**لابورنمز**" كانت عملية التعاون الأدبي تجتاز مرحلة دقيقة.. كان كل من "**روبين**" والسيدة "**أوليفر**" على طرفي نقيض فيما يريانه من مواقف المسرحية وشخصياتها، وبلغ بهما هذا الخلاف في الرأي حد المناقشة في بعض التفصيلات الثانوية، ورأى "**روبين**" أخيرا أن يرجئ العمل قليلا، قال:

– "**أرديان**" أشعر بأنني لست على ما يرام.. ربما كان السبب أنني أسرفت في الشراب، فلنؤجل العمل في المسرحية، ونتحدث عن الممثلين الذين

سيعهد إليهم بالأدوار المهمة. فلو استطعنا الاتفاق مع "**دنيس كالوري**"، لكان الحظ في جانبنا. وكذلك الحال بالنسبة لـ"**جين بللوز**"، وأعتقد أنك توافقين على الذهاب معي إلى المسرح الليلة، لتصارحيني برأيك في "**سيسيل**" الممثل الأول في المسرحية.

وأسرعت السيدة "**أوليفر**" بالموافقة، وهرع "**روبين**" إلى التليفون.. وعاد يقول:

- لقد تم إعداد كل شيء.

- 4 -

خيب النهار الآمال فيما بشر به الصباح من يوم مشرق، فتجمعت السحب، وأنذرت السماء بقرب هطول الأمطار، بينما كان "**بوارو**" في طريقه إلى الباب الأمامي لڤيللا "**هنترز كلوز**" وطرق "**بوارو**" الباب، ووقف ينتظر. ثم أعاد الكرة.

وكانت "**ديردر هندرسون**" هي التي فتحت الباب.. فقالت في دهشة:

- أهذا أنت؟

- هل تأذنين لي بالدخول والتحدث إليك؟

- أجل، بكل تأكيد.

وتقدمته إلى غرفة الجلوس الصغيرة، حيث جلس في الانتظار من قبل، وشاهد فوق رف المدفأة الإناء التوءم لإناء القهوة الذي شاهده بمنزل "**مورين**"، وكان الطابع الشرقي يغلب على تحف وأثاث الغرفة الصغيرة.. وبادرته "**ديردر**":

- معذرة عما قد تراه هنا من اضطراب.. فإن الفتاة الألمانية التي كانت تقوم بمعاونتي سوف ترحل عنا.. ولم يمض عليها أكثر من شهر في خدمتنا.. والواقع أنها اتخذت من عملها هذا تكأة لدخول البلاد لكي تتزوج بمن تريد، ويبدو أنهما اتفقا على جميع الإجراءات على أن يبدآ التنفيذ الليلة.

– إن مثل هذه الأمور تحدث كثيرا في أيامنا هذه.

– هل تصدق أنها كانت تعتزم الرحيل دون أن تحيطنا علما بذلك، ولولا أنني رأيتها تحزم ثيابها لكانت قد انصرفت دون أن يدري أحد.. ماذا كنت تبغي يا سيد "**بوارو**"؟

– كنت أريد أن أستفسر منك عن مطرقة.. قاطعة للسكر.

– مطرقة؟

وبدا على وجهها أنها لم تفهم شيئا.. فقال لها موضحا:

– أداة من النحاس عليها تمثال لطائر، مرصعة بأحجار مختلفة الألوان.. ولقد علمت بأنها كانت من مقتنياتكم؟

ولم يختلج وجهها بشيء.. بل قالت ببساطة:

– أجل.. لقد اشترتها والدتي من سوق "**بغداد**".. إنها إحدى السلع التي حملناها إلى الأبرشية.

– إتماما لعملية المبادلة، المتعارف عليها هنا؟

– أجل.. ولدينا الكثير من هذه الأشياء.. وهذا العرف ييسر لنا التخلص مما ليست لنا به حاجة، والحصول على ما نشاء من سلع أخرى.

– وأظن أن عملية المبادلة الخاصة بهذه المطرقة قد تمت بمناسبة عيد الميلاد، حينما بعثتم بها إلى الأبرشية؟

فقطبت "**ديردر**" جبينها قائلة:

– كلا.. لم يكن بمناسبة عيد الميلاد.. لقد تم هذا في المناسبة السابقة. في عيد الحصاد.

– ومتى كان هذا العيد؟

– في أواخر شهر سبتمبر (أيلول).

وخيم السكون على الغرفة الصغيرة، وتطلع "**بوارو**" إلى الفتاة التي راحت تتطلع بدورها إليه، ولم يختلج وجهها بما ينبئ عن أي انفعال من أي نوع.

وأخيرا قال "**بوارو**" في صوت هادئ:

– هل أنت واثقة بأن المبادلة تمت في عيد الحصاد وليس في عيد الميلاد؟

– كل الثقة.

– شكرا يا آنستي، والآن أرجو أن تأذني لي بالانصراف، وصحبته إلى الباب الأمامي. وسرعان ما كان "**بوارو**" يسرع الخطى عبر الممشى، وكأنه يبغي بذلك أن يسبق خواطره.

إن كلا من أقوال الطرفين يختلف عن الآخر كل الاختلاف. ترى من منهما الصادق؟ "**مورين سمر هايز**"، أم "**ديردر هندرسون**"؟

فإذا ما كانت المطرقة قد استعملت في ارتكاب الجريمة كما هو المرجح، فمن هنا تبدو أهميتها القصوى، وبالتالي من عساه أن يكون قد استعملها. إن عيد الحصاد في شهر سبتمبر (أيلول)، وعيد الميلاد في ديسمبر (كانون الأول) وفيما بين التاريخين قتلت السيدة "**ماك جنتي**" بتاريخ 22 نوفمبر (تشرين الثاني). فمن كان يقتني هذه المطرقة حينذاك؟

واتجه إلى مكتب البريد، حيث استقبلته السيدة "**سويتيمان**" بالترحاب كعادتها. وقدم إليها الصندوق لتسجيله كطرد.

الفصل الخامس عشر

- 1 -

ما إن عاد "**بوارو**" إلى البيت حتى ابتدرته "**مورين**" قائلة:

– لقد اتصل بك أحدهم تليفونيا.

– اتصل بي تليفونيا؟ ومن عساه أن يكون؟

– لست أدري، وقد دونت رقم تليفونه على غلاف دليل التليفون.

– شكرا لك يا سيدتي.

وبعد أن عثر على الرقم المدون 350 "**كيلشستر**" شرع في الاتصال به. وإذا به يسمع صوتا نسائيا يجيب النداء.

– "**بريدر**" و"**سكاتل**".

– هل يمكن أن أتحدث إلى الآنسة "**مود وليامز**"؟

وبعد برهة قصيرة، سمع صوتا يقول:

– الآنسة "**وليامز**" تتحدث.

– إنني "**هيركيول بوارو**".. أظن أنك اتصلت بي تليفونيا؟

– أجل.. أجل. لقد كان اتصالي بشأن العقار الذي كنت تستفسر عنه في ذلك اليوم.

– العقار؟!

واستبدت الحيرة بـ"**بوارو**".. ثم سرعان ما أدرك أن هناك من يسترق السمع على محادثة "**مود**"، ورجح أن تكون الآنسة "**وليامز**" حينما اتصلت به من قبل قد انتهزت فرصة وجودها بمفردها في المكتب...

قال:

– فهمت.. لقد كان هذا بشأن موضوع "**جيمس بنتلي**" والسيدة "**ماك جنتي**".

– أجل.. هل يمكن أن نقوم بشيء من أجلك؟

– حقا؟ يبدو أنك لست بمفردك؟

– فعلا.

– أدرك هذا.. عليك إذن أن تستمعي إليّ.. هل تريدين حقا مساعدة "**جيمس بنتلي**" في أزمته؟

– أجل، بكل تأكيد.

– هل يمكن أن تستقيلي من عملك؟

– أجل، وبدون تردد..

– هل تقبلين العمل بأحد المنازل؟.. ومع قوم لا يأنس المرء إليهم؟

– أجل.

– هل يمكن أن تتركي عملك فورا؟.. غدا على الأكثر.

– أجل يا سيد "**بوارو**".. أعتقد أنه يمكنني تدبير ذلك.

– إنك تدركين ما أريد منك القيام به. هل لديك إلمام بشئون المطبخ؟

– كل الإلمام.

– يا لندرة أمثالك!.. أصغي إليّ.. إنني منطلق إلى "**كيلشستر**" لتوي.. وسنلتقي في المقهى الذي سبق أن التقينا به.

– أجل.. فهمت.

وانتهت المكالمة.. ولم يتمالك نفسه من الإعجاب بهذه الفتاة وبسرعة بديهتها، وبكل شيء فيها...

ثم اتصل تليفونيا بمنزل آل "**ويذربي**".. وكان الصوت على طرف الخط الآخر هو صوت السيدة "**ويذربي**".

– "**بوارو**" يتحدث إليك يا سيدتي...

– من؟

– "**هيركيول بوارو**".

– أجل. أجل، معذرة.. إنها فوضى الخدم..

– ولهذا السبب يا سيدتي، اتصلت بك تليفونيا.. ويؤسفني أن أسمع عن متاعبكم.

– إنهم فئة لا يؤمن جانبها... هؤلاء الخدم.. إنني أكره نُكران الجميل.

– إنني مقدر مشاعرك، ولذلك أنهي إليك أنني وجدت الحل لمشكلتكم. فقد تصادف أنني أعرف فتاة تريد أن تعمل بأحد المنازل، وهي ملمّة بشئون المنزل.. والمطبخ بالذات، هل أبعث بها إليكم؟.. إنها تدعى "**مود وليامز**".

– أرجوك أن تسرع يا سيد "**بوارو**".. إنني لا أستطيع أن أفيك حقك من الشكر.. إن زوجي دقيق في مواعيده ولا يتهاون في محاسبة "**ديردر**" عن كل صغيرة وكبيرة. إن الرجال لا يقدرون الأعباء المنزلية ولا يرحمون...

ثم توقفت عن مواصلة حديثها، وسمعها تتحدث إلى شخص اقتحم عليها وحدتها، وإن كانت قد حرصت على ألا يتسرب من حديثها شيء إلى سمع "**بوارو**".. كانت تقول:

– إنه هذا الشرطي السري كان يعرض عليّ أن يبعث إلينا بمن تحل محل "**فريدا**"، كلا ليست أجنبية.. إنجليزية. شكرا له.. أرجوك ألا تعترض.

وبعد أن انتهى هذا الحديث الجانبي، واصلت السيدة "**ويذربي**" حديثها مع "**بوارو**" فشكرت له صنيعه.

وبعد أن أعاد السماعة إلى مكانها، ألقى نظره على ساعته، ثم اتجه إلى المطبخ حيث قال للسيدة "**سمر هايز**":

– لن أعود في ساعة الغداء.. فلدي عمل في "**كيلشستر**".

وغادر "**بوارو**" المنزل، سعيدا بأنه سيعفى من طعام السيدة "**سمر هايز**".

- 2 -

ثار خلاف يسير في منزل آل "**أبوارد**".

قالت السيدة "**أبوارد**":

– بكل تأكيد يا "**روبين**"، إنك تنسى حين تنصرف إلى كتابة إحدى مسرحياتك.

– أماه.. إنني جد آسف.. لقد نسيت أن الليلة هي ليلة راحة "**جانيت**" الأسبوعية.

– لا علينا من هذا.

وارتج القول على "**روبين**" وهتف:

– كيف؟.. إنني لا أرضى بهذا، سأتصل بالمسرح لتأجيل ذهابنا إلى باكر مساء.

– لا تفعل شيئا من هذا القبيل.. إنك اتفقت معهم على حضور حفل الليلة، لسوف تحضر هذا الحفل. واعتبر أن المسألة منتهية.

– أستطيع أن أسأل "**جانيت**" إرجاء راحتها إلى الغد.

– قلت كلا يا "**روبين**" ألن نفرغ من هذا النقاش؟

أرجو ألا تثقل عليّ، إنني لن أعدم وسيلة لقضاء الأمسية مع من يؤنسني.

– مع من يا ترى؟

– إنه سر من أسراري.

– سأتصل تليفونيا بـ"**شيلا ريندل**"..

– أرجو أن تدع هذا لي، شكرا.. لقد انتهينا من هذا الموضوع.. فقط. أرجو ألا تنس إعداد القهوة لي.. ولا تنس أن تعد قدحين.

الفصل السادس عشر

انتهى "**بوارو**" من إحاطة "**مود وليامز**" علما بكل ما يريد، بينما كان جالسا إلى مائدة الغداء في مطعم "**بلوكات**"، واختتم توجيهاته بقوله:

– لعلك أدركت ما يجب أن تقومي به؟

– أجل.

– هل سويت أمورك مع المكتب؟

فضحكت قائلة:

– بعثت إلى نفسي ببرقية تتضمن مرض عمتي الشديد!

– حسنا.. بقي توجيه آخر. يوجد في مكان ما من تلك القرية قاتل مطلق السراح، وليس من شك في أن لهذا القاتل خطورته البالغة.

– أهو تحذير؟

– أجل.

– اطمئن بالا.

– أرجو أن تضعي هذا نصب عينيك.

فضحكت في بساطة وانطلاق.. واستدارت بعض الرءوس إلى الفتاة المرحة، وراح "**بوارو**" يتأملها، ليجد فيها فتاة قوية الشخصية، واثقة بنفسها، تفيض حيوية ولا تتهيب المخاطرة.

قالت الفتاة:

– لقد سألتني أن أقوم بهذه المهمة.. فلماذا تحاول أن تثبِّط من همتي؟

– لأن على كل من يعهد إلى أحد بمهمة، أن يبصره بكل ما يكتنفها من مخاطر واحتمالات.

– لا أعتقد أن ثمة خطرا يتهددني.

– هذا هو ما أراه مؤقتا.. إن أحدا لا يعرفك في "**برودهيني**".. أليس كذلك؟

– بلى.. بوسعي أن أؤكد هذا.. لقد تواجدت بها مرة أو مرتين، لدواعي العمل.. وكان ذلك منذ خمسة أشهر.

– بمن اتصلت؟.. وأين تواجدت؟

– التقيت بسيدة عجوز تدعى السيدة "**كاستيرز**" – أو "**كارليزل**" – لست أذكر. وكانت تريد شراء عقار في هذا الجوار، فذهبت إليها ببعض الأوراق التي قمنا بإعدادها لها. لقد كانت مقيمة في أحد البنسيونات.

– في "**لونج ميدوز**"؟ حيث أقيم؟

– أجل.. وهو بيت خال من أسباب الراحة، به كثير من الكلاب.

– وهل التقيت بالسيدة "**سمر هايز**"، أو بالميجور "**سمر هايز**"؟

– التقيت بالسيدة "**سمر هايز**"؛ لأنها هي التي قادتني إلى غرفة العميلة بالطابق الأعلى، إذ كانت تلازم فراشها.

– وهل يمكن أن تذكر السيدة "**هايز**" هذا اللقاء؟

– لا أعتقد.. ولنفترض العكس، فهل يغير هذا من الأمر شيئا؟.. وإن كنت أرجح أنها لن تتعرف عليّ؛ لأنها كانت منصرفة عن التطلع إليّ...

– وهل التقيت بأحد آخر في "**برودهيني**"؟

– التقيت بالسيد "**بنتلي**".

– وهل كان لقاؤكما مصادفة؟

– كلا، الواقع أنني كنت قد بعثت إليه بمذكرة؛ لأحيطه علما بقدومي. ولم يكن ثمة مكان يصلح للقائنا سوى محطة الأوتوبيس، في انتظار وصول الأوتوبيس الذي كنت سأستقله في العودة.

– هل كان هذا اللقاء قبل مصرع السيدة "**ماك جنتي**"؟

– أجل.. قبل مصرعها بأيام قليلة.

– ألم يتحدث إليك السيد "**بنتلي**" بشيء عن السيدة "**ماك جنتي**"؟

– لا أذكر أنه فعل ذلك.

– ألم تتصلي بأحد آخر في "**برودهيني**"؟

– اتصلت بالسيد "**روبين أبوارد**".. وكنت قد استمعت إلى حديث له بالإذاعة، ورأيته خارجا من بيته وتعرفت عليه مما نشر له من صور، وسألته أن يوقع بإمضائه على قصاصة ورق، لم أكن أحمل معي سواها وقد استجاب إلى سؤالي عن طيب خاطر.

وأومأ "**بوارو**" برأسه، ثم أخرج من جيبه ظرفا، تناول منه الصور الأربع الفوتوغرافية، ووضعها فوق المائدة قائلا:

– هل يمكن أن تتعرفي على أي من صاحبات هذه الصور؟

وتفرّست في الصور الفوتوغرافية قائلة:

– ماذا تبغي من عرض هذه الصور.. إنها قديمة العهد.

– إن أقدمها صورت منذ ثلاثين عاما.. هل رأيت إحداهن من قبل؟

– هل تعني بسؤالك الصور أم النساء؟

– أيا من الوضعين.

– يخيل إليّ أنني رأيت هذه الصور بإحدى الصحف اليومية، وإن كنت لا أذكر متى كان ذلك.. وهذه الطفلة هي الأخرى تذكرني بشيء ما.. غير أنني لا أذكر عن ذلك شيئا بالتحديد لطول العهد.

وكانت قد أومأت بأصبعها إلى صورة "**جانيس كورتلاند**"، ثم إلى صورة "**ليلي جامبول**". وعقَّب "**بوارو**" بقوله:

– جميع هذه الصور نشرت بصحيفة "**صنداي كوميت**"، في يوم الأحد السابق لوفاة السيدة "**ماك جنتي**".

فتفرست "**مود**" في وجهه قائلة:

- بما يعني أن لهذه الصور علاقة بمقتلها؟

- أجل.

وأخرج من جيبه القصاصة المنزوعة من الصحيفة وقدمها إليها قائلا:

- من الخير أن تقرئي هذا.

وقرأت ما نشر بإمعان.. ثم تطلعت إليه قائلة:

- هكذا؟ ومن هذه الصور ومما نشر من قرينها، بدأت ترسي دعائم نظرياتك؟

- لقد أجدت التعبير.

وأطرقت قليلا قبل أن تقول:

- هل تعتقد إن إحداهن قد تكون مقيمة في "**برودهيني**"؟

- ولم لا؟.. ألا يحتمل هذا؟

- بلى.. إننا لا يجب أن نستبعد شيئا.. إن هذه السيدة قد تكون في عمر السيدة "**أبوارد**".

وكانت تومئ إلى صورة "**إيفا كان**".

- تقريبا.. وهل تذكرين شيئا عن قضية "**كريج**"؟

ومن لا يذكر هذه القضية.. إن لـ"**كريج**" تمثالا في متحف الشمع، المعروف باسم متحف السيدة "**توسو**".. لقد كنت طفلة صغيرة حينذاك، ولكن الصحف دأبت على استعادة أحداث هذه القضية في معرض الحديث عن قضايا أخرى.. إنني أعتقد أنها من القضايا التي لا تنسى. أليس كذلك؟

ورفع "**بوارو**" عينيه إلى وجهها، وهو يتساءل عن السر في هذه المرارة التي طرقت سمعه وهي تقول ذلك.

الفصل السابع عشر

استقرت السيدة "**أوليفر**" في مكانها المنزوي من الغرفة الصغيرة، المعدة لاستبدال الثياب المسرحية. وكانت تشعر بالحرج وقد أحاط بها هذا الجمع

من الشباب اللامع من الفنانين، يحيونها ويقدمون إليها أقداح الجعة.

وكانت السيدة "**أبوارد**" قد استحثتها على الإسراع بالذهاب مع "**روبين**" إلى المسرح، راجية لهما كل توفيق ومسرة. وكان "**روبين**" قد عُني بتوفير جميع وسائل الراحة لأمّه قبل انصرافه، وحرص على ألا يغفل شيئا.

وبعد أن استقر في مقعده بالسيارة. قال مبتسما:

– لقد حرصت أمي على ألا أعرف بمن ستتصل تليفونيا وتدعوه ليؤنس وحشتها، ولكنني أكاد أن أعرف بمن ستتصل.

فأردفت السيدة "**أوليفر**" قائلة:

– وأنا بدوري أعرف ما تعرف.

– من تظنين؟

– "**هيركيول بوارو**".

– أجل. لقد خمّنت ذلك. إن والدتي مولعة بالكتمان. والآن فلنتحدث عن مسرحية الليلة، ومن الأهمية بمكان أن أعرف رأيك وبصراحة في الممثل "**سيسيل**".. وما إذا كان يصلح للدور..

وغني عن البيان أن رأي السيدة "**أوليفر**" في "**سيسيل ليتسن**" كان معروفا مقدما. إنه لا يصلح لهذا الدور على الإطلاق، وقد تأكد لديها هذا الرأي بعد مشاهدة المسرحية التي استمتعت بها فعلا، على الرغم من رأيها هذا.. الذي ينصب على صلاحياته للدور المعين له في المسرحية التي يكتبها "**روبين**"، على أساس من قصتها الأصلية، وكان "**روبين**" قد انتحى بـ"**سيسيل**" جانبا، واستغرق معه في حديث جاد. وكانت السيدة "**أوليفر**" تخشى أن ينتهي الحديث إلى ما لا تود أن يكون، كما كانت تفضل على "**سيسيل**" ذلك الممثل "**مايكل**"، الذي كان يتحدث إليها حديثا رقيقا في تلك اللحظة. وأقبل آخر يدعى "**بيتر**" ليتدخل في الحديث بينهما.

وانخرط الرجلان في حديث طويل عن "**روبين**" ووالدته، إلى أن أقبل "**روبين**" فتغيرت لهجة الحديث، وأبدى الممثلان أسفهما لعدم حضور السيدة

"**أبوارد**" وسرورهما بحضور السيدة "**أوليفر**" الذائعة الصيت.

وما إن آن الأوان لعودة كل من السيدة "**أوليفر**" و"**روبين**" إلى المنزل حتى كان الإجهاد قد برَّح بالسيدة "**أوليفر**".

ولما اقتربا من ڤيللا "**لابورنمز**" قال "**روبين**":

– ادخلي، ريثما أُودع السيارة حظيرتها.

وغادرت السيدة "**أوليفر**" السيارة في طريقها إلى المنزل، وسمعته يقول لها:

– إن الباب غير مغلق.

ودلفت السيدة "**أوليفر**" إلى البهو الذي كان مظلما، واشتمت رائحة عطرة لم تألفها في هذا المنزل من قبل، حتى خيِّل إليها أنها أخطأت المكان. واتجهت إلى الجدار لتضيء البهو.

وسطع الضوء في البهو الأنيق. وكان باب غرفة الجلوس مفتوحا، فوقع نظرها على قدم وساق. وتبادر إلى ذهنها أن السيدة "**أبوارد**" لم تأو إلى فراشها بعد، وأنها قد استغرقت في النوم وهي جالسة في مقعدها.

وتقدمت السيدة "**أوليفر**" من الباب لتضيء غرفة الجلوس، قائلة:

– لقد عدنا..

ثم توقفت الكلمات على لسانها، ورفعت يدها إلى عنقها لتطلق الصرخة التي احتبست في حنجرتها، ولم ينطلق صوتها بأكثر من الهمس:

– "**روبين**".. "**روبين**"...

وأخيرا سمعت وقع قدميه عبر الممشى قادما وهو يصفر بشفتيه، فهرعت إليه تستقبله في البهو قائلة:

– لا تدخل.. لا تدخل.. إن والدتك قد قضت نحبها... وأعتقد أنها قتلت...



الفصل الثامن عشر

- 1 -

قال المفتش "سبنس":

– يا له من عمل دقيق!!

وكانت كل عضلة في وجهه تختلج غضبا، وهو يتطلع إلى حيث يجلس أمامه "هيركيول بوارو" مصغيا في أسى وحزن، واستطرد قائلا:

– عمل دقيق، بشع... لقد قتلت خنقا بوشاح حريري كانت تضعه فوق منكبيها في ذلك اليوم، ولم يكن على القاتل سوى أن يمسك بطرفيه ويطوّق به العنق ثم يضغط.. عملية دقيقة، سريعة، مضمونة. إن المجني عليه سرعان ما يعجز عن الحركة أو الصياح إثر الضغط على الشريان السباتي والعظم اللامي. إن سفاحي "الهند" يلجئون إلى هذا الأسلوب في القتل.

– هل يتطلب ذلك مهارة خاصة؟

– ليس ثمة حاجة إلى ذلك، إن الأمر سهل يسير، خاصة إذا كانت الضحية لا تشك في شيء، ويبدو أن المجني عليها كانت مطمئنة كل الاطمئنان إلى القاتل.

فأومأ "بوارو" برأسه قائلا:

– إنه أحد معارفها بكل تأكيد.

– أجل.. وتناولا القهوة معا... كان هناك قدح أمامها وآخر أمام الضيف.. ولقد أزيلت البصمات من قدح الضيف بكل عناية، وإن لم يتم هذا بالنسبة لآثار أحمر الشفاه التي يتعذر إزالتها كلية.

– إذن فالجاني امرأة..؟

– هل هذا ما كنت تتوقعه؟

– أجل.. أجل؛ لأن كل الدلائل توحي بذلك.

واستطرد "سبنس":

– لقد تعرفت السيدة "أبوارد" على إحدى تلك الصور الفوتوغرافية. على

صورة "**ليلي جامبول**"، وهكذا تتضح الصلة بين هذه الجريمة وجريمة مقتل السيدة "**ماك جنتي**".

فقال "**بوارو**" معقبا:

– أجل.. فثمة صلة بين الجريمتين.

وتبادرت إلى ذهنه صورة السيدة "**أبوارد**" وقد انبسطت أساريرها حينما راحت تردد أغنية وفاة السيدة "**ماك جنتي**".

وواصل "**سبنس**" حديثه:

– لقد انتهزت فرصة سانحة.. فرصة ذهاب ابنها مع السيدة "**أوليفر**" إلى المسرح فاتصلت تليفونيا بالشخصية المعنية، وسألتها أن تقدم لزيارتها.. لقد كانت تقوم بدور الشرطي السري.. أليس هذا هو تصورك لما حدث؟

– شيء من هذا القبيل.. أو قل هو الفضول وحب الاستطلاع. لقد احتفظت بمعلوماتها لنفسها، ولكنها أرادت أن تستزيد منها، ولم تدرك مدى ما يتهددها من خطر.. لقد استخفَّت بالخطر المحدق بها على الرغم من تحذيري لها..

– إننا ندرك ذلك.. ولقد لمس منها ابنها حرصها على كتمان اسم من كانت تعتزم الاتصال به تليفونيا؛ لتدعوه لزيارتها وقد دار بخلد "**روبين**" والسيدة "**أوليفر**" أن المدعو هو أنت.

– ليتها فعلت ذلك.. أليست لديك أية فكرة عمن تكون قد اتصلت به..؟

– كلا.. إن التليفونات هنا أوتوماتيكية.

– لقد كانت الوصيفة بالخارج، وعادت إلى المنزل بعد العاشرة والنصف، عن طريق الباب الخلفي المؤدي إلى المطبخ ومنه إلى غرفتها الخاصة، وكان البيت مظلما، فافترضت أن السيدة "**أبوارد**" قد آوت إلى فراشها، وأن الآخرين لم يعودوا بعد.

وهنا أقبل شرطي يقول:

– سيدي، توجد سيدة ترغب في مقابلتك.. وتقول إن لديها من المعلومات ما يجب أن تطلعك عليه... بشأن حادث الليلة الماضية.

فقال "**سبنس**":

– بشأن حادث الليلة الماضية..؟ دعها تدخل.

وأقبلت "**ديردر هندرسون**"، شاحبة الوجه، محاولة أن تبدو رابطة الجأش، قالت:

– لقد رأيت أنه قد يكون من الخير أن أحضر.. أرجو ألا أكون قد أقحمت نفسي عليكما..

– كلا.. كلا..

ونهض "**سبنس**" وقدم لها مقعدا.. فجلست عليه كما تجلس فتيات المدارس في ارتباك وحيرة.

وبادرها "**سبنس**" مشجعا:

– بشأن الليلة الماضية، كما فهمت؟ عن حادث السيدة "**أبوارد**"؟

– أجل هل حقا أنها قتلت؟ لقد سمعت النبأ من الخباز ومن مكتب البريد.. وقالت والدتي إن هذا أمر لا يمكن تصديقه...

– أخشى أن تكون والدتك قد جانبها الصواب في تقديرها هذا. إن النبأ صحيح لا مَريَّة فيه. والآن هل تريدين أن تفضي إلينا بشيء ما..؟

– أجل.. لقد كنت هناك.

فبهت "**سبنس**"، وحاول أن يضبط شعوره ويتمالك نفسه، هتف:

– كنت هناك؟ في ڤيلا "**لابورنمز**"؟

– ومتى كان ذلك..؟

– لست أدري على وجه التحديد.. كان ذلك فيما بين الثامنة والنصف والتاسعة فيما أعتقد.. وعلى الأرجح قرابة التاسعة.. بعد العشاء، لقد اتصلت بي تليفونيا.

– السيدة "**أبوارد**" اتصلت بك تليفونيا..؟

– أجل. وقالت إن "**روبين**" والسيدة "**أوليفر**" سيمضيان السهرة في "**كالنكاي**"، وأنها ستشعر بالوحدة، وتود لو زرتها لتناول قدح من القهوة معها.

– هل لبيت الدعوة؟

– أجل.

– وتناولت قدحا من القهوة؟

– كلا، لقد توجهت إلى منزلها وطرقت الباب، غير أن أحدا لم يستجب لطرقاتي. فدفعت الباب ودلفت إلى البهو الذي كان مظلما، كما تبينت أن غرفة الجلوس هي الأخرى كانت في ظلام دامس، فتملكتني الحيرة وناديت السيدة "**أبوارد**" أكثر من مرة ولكنها لم تجب، فخيل إليّ أنها ربما تكون قد صحبتهم إلى المسرح في آخر لحظة.

– دون أن تنبئك بذلك..؟

– هذا ما تبادر إلى ذهني فعلا.

– ألم يدر بخلدك خاطر آخر؟

– خيل إليّ أن "**فريدا**" ربما كانت قد أخطأت في تلقي الرسالة، كما هو شأنها أحيانا. إذ إنها أجنبية.. ولم تكن في حالتها الطبيعية؛ لأنها كانت راحلة عنا.

– وماذا فعلت يا آنسة "**هندرسون**"..؟

– قفلت راجعة.

– إلى منزلك..؟

– أجل.. عدت إلى منزلي بعد جولة قصيرة؛ لأن الطقس كان جميلا.

وبعد فترة صمت قصيرة، كان "**سبنس**" خلالها يتأمل شفتيها، كما لاحظ ذلك "**بوارو**"، وأخيرا نهض "**سبنس**" قائلا:

– شكرا لك يا آنسة "**هندرسون**".. لقد أحسنت صنعا بمجيئك.. شكرا.

وصافحها.. فقالت له:

– لقد رأيت أنه ينبغي لي أن أفعل هذا.. وإن كانت والدتي قد عارضتني في ذلك.. ولكنني رأيت أن أعرض الأمر عليكم.

وبعد أن رافقها إلى الباب عاد إلى مقعده، وراح ينقر بأصابعه على المكتب ويتطلع إلى "**بوارو**"، ثم قال:

– لم أتبين أحمر شفاه.. أم تراها لا تستعمله إلا في المساء..

– كلا.. إنها لا تستعمله مطلقا.

– على خلاف المألوف في أيامنا هذه.

– إنها فتاة غريبة الأطوار.. متخلفة إلى حد ما.

– كما أنها لا تستعمل العطور، كما تبينت.. ولقد ورد بأقوال السيدة "**أوليفر**" شيء عن تلك الرائحة العطرية التي كانت تفوح في البهو.. وأيد "**روبين**" هذه الأقوال، مؤكدا أنها ليست مما تستعمله والدته.

وتناقش الرجلان في وضع هذه الفتاة على أساس ما ورد بتقرير الطبيب الشرعي من أن الوفاة حدثت حوالي الساعة التاسعة والنصف، الأمر الذي يؤيد أقوال الفتاة بالنسبة لموعد حضورها وانصرافها مع التسليم بأنها كانت صادقة في أقوالها، وما إن بلغا من مناقشتهما هذه المرحلة حتى قال "**سبنس**":

– فإذا ما استبعدنا "**ديردر هندرسون**" مؤقتا، فتظل أمامنا في الصورة امرأة تستعمل أحمر الشفاه وعطرا فاخرا.

فعقب "**بوارو**" بقوله:

– وهكذا سنقوم بالتحري...

فقاطعه "**سبنس**" قائلا:

– إنني أقوم فعلا بتحرياتي... وفي الوقت نفسه لا أريد أن تفزع تحرياتي أحدا... ماذا كانت "**إيف كاربنتر**" تفعل في الليلة الماضية؟ وماذا كانت "**شيلا رينديل**" تفعل هي الأخرى..؟ إن "**إيف**" قادرة على شراء مثل هذه العطور الباهظة الثمن، يجب علينا أن نقتفي آثار ماضيها بكل عناية ودقة،

ثم هذه المطرقة التي بعثت أنت بها إلينا على أساس أنها الأداة المستعملة في قتل السيدة "**ماك جنتي**". ولقد أيد الطبيب الشرعي هذا الرأي فنيا. كما اتضح من الفحص أن آثار البقع التي على حافتها هي لدماء بشرية فعلا، على الرغم من محاولة إزالتها. وهذا يعود بنا إلى تلك الصلة بين هذه المطرقة وبين السيدة "**ويذربي**" والآنسة "**هندرسون**". أليس كذلك؟

– لقد كانت "**ديردر هندرسون**" واثقة بأن المطرقة استبدلت في عيد الحصاد.

– والسيدة "**سمر هايز**" من ناحيتها كانت واثقة بأن هذه العملية تمت في عيد الميلاد..

– إن السيدة "**سمر هايز**" لا تستطيع أن تجزم بشيء.. هذه هي طبيعة تكوينها. وبوسعي بحكم إقامتي في "**لونج ميدوز**" أن أجزم بشيء.. هو أنه يمكن لأي إنسان أن يدخل منزل آل "**سمر هايز**" ويلتقط ما يشاء، ثم يعود ليضعه حيث كان دون أن يشعر بذلك أي من السيدة "**سمر هايز**" أو الميجور "**سمر هايز**"؛ إذ في هذا المنزل تتمثل الفوضى بأجلى معانيها.

– لدي نبأ قد يخفف من وقع ما نحن فيه من توتر.. إن الحكم لن ينفذ في "**جيمس بنتلي**" قبل أن ينجلي الموقف تماما.. وكان هذا بناء على طلب تقدمنا به لوزير الداخلية الذي وافق على التأجيل.

– أرى أنه يحسن بي أن أقوم بزيارة أخرى لـ"**بنتلي**".. بعد أن تجمعت لدينا بعض المعلومات.

- 2 -

لم يطرأ على حالة "**جيمس بنتلي**" تغيير جدير بالذكر.. فلقد كان كالعهد به، الرجل الهادئ، اليائس.

– والتزم "**بوارو**" في حديثه معه جانب الحذر.. وقال له فيما قال، إن ثمة أدلة جديدة، وأن الشرطة أعادت التحقيق والتحري في القضية، وأن من شأن

هذا كله أن يجدد الأمل.. غير أن "**جيمس بنتلي**" لم يحرك ساكنا، بل عقب بقوله:

– لا جدوى من كل هذا.

– إن أصدقاءك يجدُّون في مسعاهم.

– أصدقائي..؟ ليس لي أصدقاء.

– لا يجمل بك أن تقول ذلك.. إن لك على الأقل صديقين.

– صديقين..؟ بودي لو عرفت من هما..

وكانت نبرات صوته تنم عن عدم التصديق أكثر مما تنم عن رغبته في التعرف على الصديقين.

وأجابه "**بوارو**":

– أولهما مفتش الشرطة "**سبنس**"...

– "**سبنس**".. "**سبنس**"..؟ مفتش الشرطة الذي عمل في القضية ضدي.. يا لسخرية القدر..!

– كلا، بل هذا من حسن حظك.. إن "**سبنس**" ضابط شرطة كفء، ذكي، يقظ الضمير... وهو حريص على ألا يجانبه الصواب في عمله.

– لقد كان واثقا باتهامي.

– كلا.. إنه لم يكن مقتنعا في قرارة نفسه، على الرغم من جميع الظروف والملابسات التي كانت ضدك. وهذا هو ما حدا بي إلى القول بأنه صديقك. صديقك الذي يبذل أقصى ما في وسعه لمصلحتك.

وبعد فترة صمت أطرق "**جيمس بنتلي**" خلالها قليلا، ثم قال متسائلا:

– ومن عساه أن يكون الصديق الثاني..؟

– "**مود ولیامز**".

ولم يبد على "**بنتلي**" ما ينبئ عن أن سماعه للاسم كان له وقع في نفسه.

– "**مود وليامز**".. من عساها تكون؟

– كانت تعمل في مكتب ("**بريدر**" و"**سكاتل**").

– آه.. الآنسة "**وليامز**".. ماذا تريد أن تقول عنها؟

وكانت ثمة لحظات. شعر فيها "**هيركيول بوارو**" بالحنق على "**جيمس بنتلي**"، وود لو اقتنع بأنه القاتل الحقيقي للسيدة "**ماك جنتي**" فيدعه لمصيره المحتوم. غير أنه كان كلما ازداد ضيقا بـ"**بنتلي**" ازداد اقتناعا بوجهة نظر المفتش "**سبنس**" من أنه ليس بالرجل الذي يمكن أن يكون قاتلا بحال ما.. وسيطر "**بوارو**" على أعصابه وأجاب:

– أريدك أن تعلم أن الآنسة "**وليامز**" تهتم بهذه القضية إلى أقصى حد.. وهي مقتنعة تمام الاقتناع ببراءتك.

– وأنَّى لها هذا الاقتناع..؟

– لأنها تعرف حقيقة من أنت.

– ما أظن أن معرفتها بي تبلغ هذا الحد.

– ألم تكونا تعملان معا..؟ ألم تتناولا معا بعض الوجبات..؟

– بلى.. مرة أو مرتين.. في مقهى "**البلوكات**"، عبر الشارع.

– ألم يحدث أنكما قمتما بجولة معا؟

– مرة واحدة.

فضاق "**بوارو**" ذرعا به، وانفجر قائلا:

– أو تراني أحاول أن أنتزع منك اعترافا بجريمة ارتكبتها..؟ وهل في صحبة فتاة حسناء ما يشين.. أليس هذا هو شأن جميع الشبان ممن هم في مثل سنك..؟

– ليست لي معرفة بفتيات كثيرات.

– إنك تعرف من هي الآنسة "**وليامز**".. وعملت مع الآنسة "**وليامز**"، وتحدثت إليها، وتناولت معها بعض الوجبات وتجولتما معا مرة أو مرتين، ثم إذا تحدثت إليك عنها، لا تذكر حتى اسمها..!

فأطرق "**جيمس بنتلي**" خجلا.. وقال معقبا:

– لم يكن لي علاقات بالفتيات بصفة عامة.. وعلى الرغم من رقتها

ووداعتها، فإنني لم أكن أستطيع أن أبعد عن خاطري رأي والدتي في مثل هؤلاء الفتيات.

– إن رأيك هو المهم.

–هل لمست من الآنسة "**مود وليامز**" عطفها عليّ..؟ لقد كانت فعلا رقيقة معي.. ولكنها لم تفهمني. لقد توفيت والدتها وهي بعد طفلة.

– نعم.. ثم كان أن فصلت من عملك.. والتقت بك الآنسة "**مود وليامز**" فيما بعد في "**برودهيني**" فيما علمت..؟

– أجل.. أجل.. كانت قادمة في عمل، وبعثت إليّ ببطاقة بريد، تحيطني علما بذلك، وتسألني لقاء.. وقد عجبت لهذا، إذ لم تكن معرفتي بها وثيقة.

– ولكنكما التقيتما..؟

– أجل.. إذ لم أرد أن أكون فظا.. وكان اللقاء بمحطة الأتوبيس، ولا تنس أنني كنت خالي الوفاض.

– بكل تأكيد.. كان هذا قبل مقتل السيدة "**ماك جنتي**" ببضعة أيام..؟

وأومأ "**جيمس بنتلي**" برأسه علامة الإيجاب، ثم قال بغتة:

– أجل.. كان اللقاء يوم الاثنين.. وكان الحادث يوم الأربعاء.

– أريد أن أسألك عن شيء آخر يا سيد "**بنتلي**".. هل كانت السيدة "**ماك جنتي**" تواصل قراءة "**صنداي كوميت**"؟

– أجل.

– وهل كنت تطلع عليها؟

– كانت تقدمها إليّ أحيانا، غير أنني كنت أرفض ذلك، لم تكن والدتي لتعنى بقراءة الصحف.

– إذن. فإنك لم تطلّع على صحيفة "**صنداي كوميت**" في ذلك الأسبوع؟

– كلا.

– ألم تحدثك السيدة "**ماك جنتي**" بشيء عما ورد بتلك الصحيفة؟

– بلى، لقد حدثتني بالكثير..!

– أحقًا..! وماذا تراها حدثتك به..؟ أرجو أن تكون دقيقا. إن تحري الدقة فيما تقول من الأهمية بمكان.

– لست أذكر ما قالته على وجه التحديد.. وأذكر أن حديثها كان عن قضايا القتل القديمة.. قضية "**كريج**" فيما أظن... وقالت إن ثمة شخصا يقيم في "**برودهيني**" له علاقة بهذه القضية.

– ألم تحدثك بأمر هذا الشخص..؟

– أعتقد أنها قالت شيئا عن هذه السيدة التي تعمل عندها.

– ألم تحدد اسمها..؟

– كلا... في الواقع أنني لطول العهد...

– حاول أن تتذكر ما دار بينكما من حديث... إنك تريد أن تستردّ حريتك، أليس كذلك..؟

– حريتي...؟

– أجل، أن يطلق سراحك.

– سراحي أنا..؟ أجل.. هذا هو المفروض..

– إذن فلتستعد في ذهنك كل ما قالته السيدة "**ماك جنتي**"..

– فليكن.. لقد قالت.. هذه المعتزة بنفسها المغرورة.. إنها لن تكون كذلك إذا ما عرفت كل شيء عنها..

إنك إذا نظرت إليها لا يمكن أن تعتقد أنها صاحبة الصورة، وهذا طبيعي؛ فقد التقطت هذه الصورة منذ سنوات عديدة.

– وما الذي حدا بك إلى الاعتقاد بأن السيدة المعنية هي السيدة "**أبوارد**"؟

– في الحق أنني لست أدري.. لقد كانت تتحدث عن موضوع الصور دون أن تذكر أسماء، ثم عادت لتتحدث في موضوعات أخرى؛ لأنها كانت ثرثارة بطبعها، ومن هنا يمكن أن أؤكد لك، وقد بدأت أستعيد ما كان من حديثها على طول العهد به، إنها لم تكن تعني السيدة "**أبوارد**" بالذات، وأن ما قلته

لك كان مجرد استنتاج نابع من انطباع خاطئ.

وزفر "**بوارو**" قائلا:

- وأنا بدوري لا أعتقد أن صاحبة الصورة المعنية كانت السيدة "**أبوارد**"، وأعتقد أنها كانت تتحدث عن سيدة أخرى.. وأرى أنك مسؤول إلى أبعد حد عن تنفيذ حكم الإعدام فيك، إذا لم نوفق فيما نبذل من جهود. مسؤول عن سطحيتك وعدم متابعة ما يتحدث الناس به إليك.. ألم تتحدث إليك السيدة "**ماك جنتي**" عن المنازل التي كانت تعمل بها، أو عن سيدات هذه المنازل..؟

- بلى.. أحيانا. غير أنه كانت لي مشاغلي الخاصة، التي تصرفني عما عداها.

- سأعاونك على استعادة ما يمكن أن يكون عالقا بذهنك! ألم تتحدث إليك السيدة "**ماك جنتي**" عن السيدة "**كاربنتر**"... أو السيدة "**رينديل**"..؟

- "**كاربنتر**" الذي يقتني سيارة كبيرة، ويقيم في بيت جديد في الجبل، أليس كذلك..؟ والذي كان خاطبا للسيدة "**سيلكيرك**" التي كانت السيدة "**ماك جنتي**" تندد بها دائما، مما لا أدرك له سببا. و"**رينديل**" هو الطبيب، أليس كذلك..؟ لست أذكر أنها تحدثت عن هؤلاء حديثا له طابع خاص.

- وماذا عن آل "**ويذربي**"..؟

- لعليّ أذكر ما قالته عن هؤلاء.. كانت تنعى على السيدة خزعبلاتها، وعلى السيد صمته. وكانت تقول عنهم إنهم أسرة غير سعيدة.

وراح "**بوارو**" يتأمل "**جيمس بنتلي**" الذي لمس منه تغير لهجته، بما لم يعهده فيه من قبل، لقد أصبح "**جيمس بنتلي**" السلبي أكثر إيجابية، وأمعن مفكرا. وبادره "**بوارو**" قائلا في صوت رقيق:

- هل كنت تعرفهم؟ الأم..؟ الأب..؟ الابنة؟

- كلا.. إنه الكلب الذي وقع في فخ ولم تتمكن الآنسة "**هندرسون**" من

إنقاذه، فكان أن عاونتها على إطلاق سراحه.

ومرة أخرى لمس "**بوارو**" في نبرات صوته شيئا جديدا، وتذكر ما سبق أن حدثته به السيدة "**أوليفر**" عما دار بينهما وبين "**ديردر هندرسون**". فقال له في صوت هادئ خافت:

– وهل دار بينكما حديث ما..؟

– أجل. لقد حدثتني عن والدتها وعما تعانيه من زوجها. إنها شديدة الحدب على والدتها.

– ولقد حدثتها بدورك عن والدتك..؟

– أجل.. إن الحياة قاسية لا ترحم، وفيها من الناس من لا يعرفون من السعادة سوى اسمها.

وأحسب أن الآنسة "**هندرسون**" لم يقدر لها أن تتذوق للسعادة طعمًا.

الفصل التاسع عشر

قالت السيدة "**سويتيمان**":

– والآن، أصغي إليّ.

– وكانت "**أدنا**" تُصغي إليها منذ فترة طويلة، ولكن الحديث كان يدور في حلقة مفرغة... فالسيدة "**سويتيمان**" تقول نفس الشيء و"**أدنا**" تجيب بعبارتين لا ثالث لهما: الأولى أنها لا تستطيع. والثانية أنها تخشى أن يقتلها أبوها.

قالت السيدة "**سويتيمان**":

– ليكن ما يكون... إننا أمام جريمة قتل، وما شاهدته قد يغير مجرى التحقيق.

وتوقفت السيدة "**سويتيمان**" عن مواصلة حديثها؛ لتقوم على خدمة السيدة "**ويذربي**" التي قدمت لتبتاع بعض الطوابع..

قالت لها:

– إننا لم نحظ بزيارتك منذ فترة طويلة يا سيدتي.

– لم أكن على خير ما يرام في الفترة الأخيرة.. إنها علة القلب، وكان عليّ أن أتجنب كل إجهاد.

– لقد سمعت بالوصيفة الجديدة.. أرجو أن تجدي فيها بُغيتك.

– أجل.. لابأس بها في الخدمة، ولكن هذا الشعر الملون وذلك المظهر..

– ثمة بون شاسع بين خادمات الأمس وخادمات اليوم.. وهذا هو شأن الفتيات جميعا.. وإليك "**أدنا**" إنها المثل الحي للفتاة العصرية...

ثم استطردت السيدة "**سويتيمان**" قائلة:

– لقد كان حادثا مروِّعا.. حادث مقتل السيدة "**أبوارد**"، أليس كذلك..؟

– حادث بشع.. ولقد حاولوا أن يكتموا النبأ عني.. وما إن علمت به حتى ازدادت ضربات قلبي.

– لقد كان صدمة لنا جميعا. أما السيد "**روبين أبوارد**" فإنه لم يطق الحياة في المنزل، وانتقل إلى "**لونج ميدوز**" للإقامة هناك. وقد ذهبت الوصيفة "**جانيت جروم**" للإقامة مع ابنة أخيها، وتسلمت الشرطة مفتاح البيت.. أما السيدة الكاتبة القصصية، فقد عادت أدراجها إلى "**لندن**"، ولكنها ستعود لحضور جلسة التحقيق.

وكانت السيدة "**سويتيمان**" مسترسلة في حديثها، منطلقة بمعلوماتها التي تعتز بها وتزهو، وعقّبت السيدة "**ويذربي**" على ما سمعته بقولها:

– إنها لأحداث مزعجة حقا.. لابد أن بهذه البلدة سفاحا مجنونا... يجب أن توضع هذه القرية تحت حراسة مشددة، وأن يُفرض فيها حظر المرور ليلا مع إحكام إغلاق أبوابها ونوافذها إلى أن تستقر الأمور بها ويستتب الأمن، ويتم اعتقال هذا المجرم المجنون.

وغادرت السيدة "**ويذربي**" مكتب البريد، وهي تهز رأسها أسى. واستأنفت السيدة "**سويتيمان**" و"**أدنا**" مناقشتهما. قالت الأولى:

– "**أدنا**" يجب أن تعدلي عن موقفك هذا. إن الحق هو الحق والباطل هو

الباطل، والحق أحق بأن يتبَّع. صرحي بما لديك وليكن ما يكون.

– إنك تعرفين ما سيفعله والدي بي، تعرفين هذا جيدا.

– سأتحدث إلى والدك في هذا الموضوع.

– لا أستطيع. لا أستطيع.

– إن السيدة "**أبوارد**" قد قتلت، ولقد رأيت شيئا يجهل أمره البوليس، ولا تنسي أنك موظفة بمكتب البريد. إنك موظفة حكومية، وعليك أن تقومي بواجبك، وأن تذهبي إلى "**ألبرت هايلنج**"...

– كلا، ليس إلى "**ألبرت**".. لا أستطيع.. إن البلدة ستعرف ذلك.

– إذن، فإلى هذا السيد الأجنبي..

– كلا، لن أتصل بأجنبي.. لا أستطيع.

– ربما كنت في ذلك على حق.

وحينئذ، توقفت سيارة أمام مكتب البريد، وأشرق وجه السيدة "**سويتيمان**" وهي تقول:

– ها هو الميجور "**سمر هايز**".. عليك أن تُفضي إليه بكل شيء؛ ليبصرك بما يجب أن تفعلي.

– ولا هو.. هذا لا يمكن.

ودخل "**چوني سمر هايز**" إلى مكتب البريد ومعه ثلاثة طرود، وضعها أمام السيدة "**سويتيمان**" قائلا:

– طاب صباحك.. أرجو ألا تتجاوز هذه الطرود الوزن المحدد..؟

وانصرفت السيدة "**سويتيمان**" إلى عملها بما عرف عنها من دقة، ثم ابتدرت "**سمر هايز**" بقولها:

– معذرة يا سيدي.. أريد أن أستشيرك في أمر.

– نعم.. كلي آذان صاغية.

– إنه بشأن "**أدنا**" هذه.

وتطلّع "**چوني سمر هايز**" إلى "**أدنا**" بارتياب، وقال أخيرا:

– حسنا. ما هذه المشكلة؟

– إن الأمر يتصل بحادث القتل يا سيدي.. لقد وقع نظر "**أدنا**" على شيء ما ليلة الجريمة.

وحملق "**جوني سمر هايز**" إلى كل من السيدة "**سويتيمان**" و"**أدنا**"، قائلا:

– "**أدنا**". ماذا شاهدت؟

وانخرطت "**أدنا**" في النحيب، فتولت السيدة "**سويتيمان**" الإجابة عنها وقالت:

– لقد سمعنا بالكثير من هنا وهناك.. ومن هذا ما هو حق، ومنه ما هو مجرد أقاويل. غير أن ما اتفق الناس عليه أنه كانت هناك سيدة في تلك الليلة، تناولت قدحا من القهوة مع السيدة "**أبوارد**".. أليس كذلك يا سيدي؟

لقد سمعت بذلك من "**ألبرت هايلنج**".

كان "**ألبرت هايلنج**" هذا هو رئيس نقطة الشرطة المحلية الذي يعرفه "**سمر هايز**" خير المعرفة. واستطردت السيدة "**سويتيمان**" قائلة:

– ولكنهم لا يعرفون من عساها أن تكون هذه السيدة؟ لقد رأتها "**أدنا**".

والتفت "**سمر هايز**" إلى "**أدنا**" متسائلا:

– لقد رأيتها، أليس كذلك..؟ أثناء دخولها أم أثناء خروجها..؟

فقالت "**أدنا**":

– أثناء دخولها.. كنت واقفة تحت الأشجار، عبر الطريق، وكنت مستترة بالظلام. لقد رأيتها.. رأيتها وهي تخطو عبر الباب الخارجي، ثم إلى الباب الأمامي حيث توقفت قليلا، ثم دخلت.

– هذه السيدة كانت الآنسة "**هندرسون**".. إن الشرطة تعرف كل شيء عن هذه الزيارة، لقد توجهت بنفسها إلى الشرطة لتحيطهم علما بذلك.

– ولكنها لم تكن الآنسة "**هندرسون**".

– لم تكن الآنسة "**هندرسون**" . . إذن فمن كانت؟

– لست أدري. . لأنني لم أر وجهها . . لقد كانت مولية ظهرها إليّ، ولكنها لم تكن الآنسة "**هندرسون**" .

– وكيف تجزمين بأنها لم تكن الآنسة "**هندرسون**" ، بينما لم يتيسر لك رؤية وجهها . .

– لأن شعرها كان أشقر، وشعر الآنسة "**هندرسون**" أسود .

– ولكن الظلام كان دامسا، ولم يكن ليتسنّى لك هذا التمييز بين الألوان .

– ولكنني على الرغم من ذلك، تمكنت من هذا التمييز، بفضل ضوء مصباح فوق الباب الأمامي، كانت تقف أسفله مباشرة، وكانت ترتدي معطفا أسود، بدون قبعة، وكان شعرها ذهبيا واضحا تماما .

– ومتى كان ذلك؟

– لست أدري على وجه التحديد .

– ليكن على وجه التقريب .

– كان ذلك فيما بين الثامنة والنصف والتاسعة .

– وكم انقضى من الوقت وهي واقفة؟

– لست أدري يا سيدي؛ لأنه لم يطل بي الانتظار، ولم أسمع شيئا .

– ليس أمامك الآن سوى إبلاغ الشرطة بذلك .

وعادت "**أدنا**" تنتحب قائلة:

– إن والدي لن يغفر لي هذا .

وتطلعت إلى السيدة "**سويتيمان**" ضارعة، ثم هرعت إلى الغرفة الخلفية، وواصلت السيدة "**سويتيمان**" الحديث، مجيبة عن نظرة الرجل المستفسرة:

– هذا هو شأنها يا سيدي منذ أن روت لي قصتها . . إن والدها فعلا رجل صارم، جاد . . إنها تخشى غضبه إذا ما عرف سبب خروجها في تلك الساعة المتأخرة من الليل. لقد كانت على موعد مع "**ماسترز**" للذهاب إلى السينما في "**كولافون**" ، وإن كانت قد كذبت على والدها وقالت إنها على موعد مع

"**ريج**"، وذلك؛ لأن والدها يعترض على الأول؛ لأنه رجل متزوج وله طفلان، وهذا هو السبب في انتظارها بين ظلال الأشجار وليس من شك في أن التحقيق، ومناقشتها في سبب تواجدها بهذا المكان سيفضح سرها الذي تحرص على كتمانه على الأقل عن والدها.

– ومن هنا كان إحجامها عن إخطار الشرطة..؟

– أجل يا سيدي.

– ولكنك تدركين أنه يجب عليها إبلاغ الشرطة.

– وهذا هو رأيي.

– وأعتقد أن الشرطة سوف تراعي جميع الظروف والملابسات. وقد لا يستدعي الأمر أن تؤخذ أقوالها رسميا، وتحتفظ الشرطة بما تدلي به من معلومات سرا تتابع تحرياتها على ضوئه، ويمكن أن أتصل بالمفتش "**سبنس**" وأصطحب "**أدنا**" معي في سيارتي إلى "**كيلشستر**" للقائه في مركز الشرطة، فلا يعرف أحد شيئا عن اتصالها بالشرطة.

وهكذا اتصل "**چوني سمر هايز**" بالشرطة، واصطحب معه "**أدنا**" الصغيرة بعد تشجيع السيدة "**سويتيمان**" لها، وانطلقت بهما السيارة في طريقها إلى "**كيلشستر**".

الفصل العشرون

جلس "**بوارو**" على مقعد بمكتب المفتش "**سبنس**" في "**كيلشستر**"، وأغمض عينيه وعقد أصابعه، واستغرق في تأملاته.

وبعد أن فرغ المفتش مما بين يديه من تقارير، وأصدر أوامره إلى مرءوسيه، تطلّع إلى الرجل الجالس في مواجهته قائلا:

– أهي موجة من شرود الذهن..؟

– إنني أمعن الفكر، وأستعيد بعض الوقائع.

وصمت قليلا ثم قال:

– لماذا يحتفظ الناس بالصور الفوتوغرافية؟

– ربما لمجرد الذكرى.

– تماما.. لتذكّرهم بشيء ما.. إن المرأة التي تحتفظ بصورة من عهد الصبا تفعل ذلك بدافع من الغرور والزهو. إنها تريد أن تحتفظ بسجل جمالها الماضي، حينما كانت فتاة في مقتبل العمر.

– أجل... أجل، إنه التصوير الصحيح لهذه العقلية.

– ومنهن من تحتفظ بصورة لعزيزة لديها... صورة لابنة متزوجة، حينما كانت صبية لم تشب عن الطوق بعد... إلى آخر هذه الذكريات، وثمة من الأبناء والبنات من يحتفظ بصورة الأمهات، ممن قضين نحبهن لمجرد الاعتزاز بها، والرجوع إليها من حين لآخر. وقد تعجب إذا قلت إن هناك دافعًا آخر للاحتفاظ بمثل هذه الصور.. ألا وهو دافع الحقد والكراهية.. أجل، الحقد والكراهية.. وذلك للإبقاء على جذوة الرغبة في الانتقام مشتعلة لا يخمد لها أوار– ومن هنا تكون الصورة أداة تذكير بما نال المحتفظ بها من أذى.

– وهل ينطبق هذا في قضيتنا هذه؟

– أصغ إليّ.. تأمل صورة "**جامبول**" الفوتوغرافية إنها ليست بالفتاة الجميلة.. كلا.. بل إنها أقرب إلى القبح منها إلى الجمال، وليست هناك امرأة يمكن أن تحتفظ بمثل هذه الصورة الدميمة على سبيل الذكرى، ولئن قدر أن تكون هذه الصورة لأي من "**إيف كاربنتر**" أو "**شيلا رينديل**"، الجميلتين لما احتفظت بها.

– إنني أتابع بإمعان تسلسل منطقك.

– فإذا ما فرغنا من استبعاد احتمال الاحتفاظ بالصورة بدافع الغرور، انتقلنا إلى الاحتمال الآخر، العاطفي.. من ذا الذي كان يحب "**ليلي جامبول**" في هذه السن؟ إن مشكلة "**ليلي جامبول**" أنها لم تكن محبوبة من أحد.. لقد قتلت عمتها التي كانت الوحيدة التي تحدب عليها.. وهكذا نستبعد الاحتمال الثاني وهو العاطفي ولا يبقى سوى دافع الحقد والكراهية، ولكن من

المستبعد أن يوجد من يرغب في الانتقام من هذه الطفلة البائسة التي كان الجميع يشفقون عليها.

– السيد "**بوارو**" هل تريد أن تقول بأنه لا يوجد من يمكن أن يحتفظ بصورة "**ليلي جامبول**" لأي من هذه الاعتبارات؟

– تماما.. وهذا ما أستخلصه من تأملاتي.

– ولكن الواقع بخلاف هذا.. لأن السيدة "**أبوارد**" قد رأت هذه الصورة وعرفتها.. أنت نفسك قلت لي هذا بناء على ما قالته لك.

– أجل.. غير أنك يجب أن تعرف أن السيدة "**أبوارد**" كانت امرأة عميقة الغور.. وكان لها أسلوبها الخاص في معالجة الأمور. لقد بدا أنها تعرّفت على إحدى هذه الصور بمجرد عرضها عليها، غير أنها لسبب ما كانت تريد أن تحتفظ بالسر لنفسها. ولما كانت سريعة الخاطر، فإنها أسرعت وأومأت إلى صورة غير الصورة المعنية.

– وماذا كانت تبغي من ذلك؟ ابتزاز المال بالتهديد..؟ لقد كانت سيدة فاحشة الثراء في غنى عن مثل هذا.

– كلا، لم تكن تبغي الابتزاز.. فقد كان زوجها من كبار أصحاب المصانع.. بل أرجح أن هدفها كان نبيلا. إذ ربما كانت تحب السيدة المعنية، ولم تشأ أن تفشي سرها. ومع ذلك فقد استبد بها الفضول، واعتزمت أن تتحدث إليها حديثًا خاصا على انفراد.

– أفهم من حديثك هذا أنك تستبعد صورة "**ليلي جامبول**" لتحل محلها الصور الثلاث الأخرى...

– هذا هو ما كنت أستهدفه على وجه التحديد. لقد اعتزمت السيدة "**أبوارد**" أن تتصل بصاحبة الصورة في أول فرصة سانحة، ولقد سنحت لها هذه الفرصة حينما توجه ابنها والسيدة "**أوليفر**" إلى المسرح في "**كالنكاي**".

– فعمدت إلى الاتصال تليفونيا بـ"**ديردر هندرسون**"، ومن هنا نعود إلى

التركيز على "**ديردر هندرسون**" وعلى والدتها... إنها تزيد الأمور تعقيدا.
وتطلع المفتش "**سبنس**" في أسى إلى "**بوارو**".

الفصل الحادي والعشرون

- 1 -

استأجر "**بوارو**" سيارة في عودته إلى "**برودهيني**"، وكان متعبا لكثرة ما استغرق في التفكير، وضاعف من تعبه إحساسه بالفشل والعجز عن وضع النقط فوق الحروف.

إن جميع الخطوط أصبحت واضحة أمامه، ولكنه لا يستطيع أن يوفق بينها ويخرج منها رسما مكتملا.

وبعد ابتعاده عن "**كيلشستر**" بقليل التقى بسيارة "**سمر هايز**" قادمة في الاتجاه المضاد، وكان "**چوني**" هو الذي يتولى قيادتها وإلى جانبه شخص ما، لم يتبين "**بوارو**" من عساه أن يكون؛ لأنه كان مستغرقا في تأملاته.

وبمجرد عودته إلى "**لونج ميدوز**"، دلف إلى غرفة الاستقبال، حيث اتخذ له مقعدا. وسمع في مجلسه دقات الآلة الكاتبة، في الطابق الأعلى. إنه "**روبين أبوارد**" ماض في كتابة مسرحية جديدة. وكان قد حدث "**بوارو**" بأنه يجد عناء كبيرا في التركيز، وقد قال له فيما قال:

– إن أمي لم تكن تريد مني سوى أن أمضي قُدمًا في عملي.

ولم ينكر "**بوارو**" هذا على السيدة "**أبوارد**" التي كانت تؤمن بكفاءة "**روبين**" في عمله وتفاخر به إلى حد بعيد.

واسترخى "**بوارو**" في مقعده مغمضا عينيه، وراح يستعرض صورة السيدة "**أبوارد**" وجميع الظروف المحيطة بها وبمسلكها الأخير، وأيقظه من تأملاته دخول "**مورين سمر هايز**" المفاجئ وهي تقول:

– لست أدري ما الذي ألمّ بـ"**چوني**".. لقد توجه إلى مكتب البريد بثلاثة طرود، كان ينبغي أن يعود منذ ساعات. كما أنني لا أستطيع أن أعثر على

استمارات وزارة الزراعة.

واتجهت إلى المكتب تفتح أدراجه بحثا عما تريد، وتلقي بمحتوياتها على الأرض.. وأخيرا أطلقت صيحة فوز تدل على أنها وفقت في الاهتداء إلى ما تبحث عنه.

وحاول "**هيركيول بوارو**" أن يسترسل في تأملاته، وأن يستأنف تبويبها وتنظيمها. غير أنه سرعان ما قطّب جبينه؛ لأنه شعر بأن هذه الفوضى من حوله تشتت ذهنه، وحاول أن يولي ظهره إلى ما ألقت به السيدة "**سمر هايز**" أثناء بحثها عن الأوراق المفقودة؛ لكي لا يتأثر بتلك الفوضى التي لا تتفق مع ما يجب أن يحيط به نفسه من هدوء ونظام، إلا أنه لم يوفق إلى جمع شتات ذهنه...

وأخيرا نهض يحاول أن يعيد كل شيء إلى مكانه، وأثناء انصرافه إلى ذلك، دق جرس التليفون على غير انتظار، فرفع السماعة، وكان المتحدث هو المفتش "**سبنس**".

كان يقول:

- "**بوارو**" لقد كنت أريد الاتصال بك.

وكان صوت "**سبنس**" على غير ما ألفه منه. إنه صوت رجل استبد به القلق وقال:

- لقد حصلنا على أدلة جديدة.. تلك الفتاة التي تعمل بمكتب البريد. لقد قدمت برفقة ميجور "**سمر هايز**". وعلمنا منها أنها كانت تقف أمام البيت في تلك الليلة، وشاهدت امرأة تدلف إليه، وذلك فيما بين الثامنة والنصف والتاسعة. ولم تكن هي "**ديردر هندرسون**". كانت امرأة شقراء الشعر، وهذا يعود بنا إلى ما كنا فيه من انحصار الشبهة بين كل من "**إيف كاربنتر**" و"**شيلا ريندل**". ولم يعد أمامنا سوى البت برأي فيمن عساها أن تكون الزائرة؟

وكان "**بوارو**" بسبيل أن يعقّب بما يرى... ولكنه آثر ألا يفعل توخيا

للحذر، فأعاد السماعة إلى مكانها.

ووقف شارد الذهن، ساهم النظر. وعاد الرنين:

- هل يمكن أن أتحدث إلى السيد "**بوارو**"؟

"**هيركيول بوارو**" هو المتحدث.

- "**مود وليامز**" مكتب البريد بعد ربع ساعة.

- سأوافيك هناك.

وأسرع "**بوارو**" بمغادرة المنزل، وفي الطريق استوقفه أحد رجال المفتش "**سبنس**" ويدعى "**فيلتشر**"، وكان قد غادر ڤيللا "**لابورنمز**" لتوه، وبعد أن رد "**بوارو**" تحية "**فيلتشر**"، قال الشرطي:

- لقد أوفدني الرئيس لإلقاء نظرة.. إذ من المحتمل أن نكون قد أغفلنا شيئا عند تفتيش بيت السيدة "**أبوارد**"، وكان المفتش يعتقد أن ثمة درجا سريا. ولم أعثر على درج سري، ولكنني بعد أن بحثت بين طيات الكتب.

فقاطعه "**بوارو**" قائلا:

- ماذا وجدت؟

- لم أجد رسالة أو شيئا من هذا القبيل، وإنما وجدت شيئا مشوقا نأمل هذا..

وفض صحيفة يومية ليكشف عن كتاب قديم قائلا:

- لقد عثرت عليه فوق أحد الأرفف، كتاب قديم صدر منذ أعوام، ولكن تأمل ما دون بغلافه الداخلي: "**إيفلين هوب**". إنه الاسم..

- الاسم الذي اتخذته "**إيفا كان**" حين رحلت عن "**إنجلترا**"، وكأني بالسيدة "**ماك جنتي**" حينما تعرفت على إحدى هذه الصور الفوتوغرافية قد أدركت أنها للسيدة "**أبوارد**". إن من شأن هذا أن يزيد الأمور تعقيدا.. أليس كذلك؟

- بلى.. وأؤكد لك أنك حينما تذهب بهذه المعلومات الجديدة إلى رئيسك، فإنه سوف يُفاجَأ إلى حد أن يقتلع شعره من جذوره.

– أرجو ألا تبلغ به المباغتة هذا الحد!

ولم يعقب "**بوارو**" بشيء.. ومضى في طريقه قدماً، ورأى أنه حسن به أن يقلع عن التفكير في شيء؛ لأن الأمور تزداد تعقيداً.

وخطا إلى مكتب البريد ليجد "**مود وليامز**" في انتظاره.

- 2 -

وبادر "**بوارو**" الآنسة "**مود**" قائلا:

– هل لديك ما أردت أن تحيطني به علما؟

– أجل.. كان هناك من يحاول أن يدخل إلى غرفة السيدة "**ويذربي**" عن طريق النافذة.

– ومتى كان ذلك؟

– صباح اليوم.. كانت قد غادرت المنزل، كما فعلت ابنتها مع كلبها، أما الزوج فكان في مكتبه كالعادة، وكنت في المطبخ...

– أجل، أجل، واصلي حديثك.

– فتسللت إلى الطابق الأعلى، حيث توجد غرفة نومها، ورأيت سلما خشبيا مستندا إلى النافذة، وأبصرت برجل يحاول أن يعبث بمزلاج النافذة؛ لأنها كانت تحرص على إحكام غلق نوافذها بعد حادث القتل الأخير. وما إن وقع نظر الرجل عليّ حتى أسرع بالهبوط وأطلق لساقيه العنان، وكان السلم هو سلم البستاني.

– ومن عساه أن يكون هذا الرجل؟.. وما أوصافه؟

– لم أستطع أن أتبين وجهه؛ لأن قرص الشمس كان في مواجهتي. وهل أنت واثقة بأنه كان رجلا؟

– كان في ملابس الرجال.. ويضع فوق رأسه قبعة من الفلين، ولا أستبعد أن يكون امرأة..

– إنها لمعلومات جد مشوقة.. جد مشوقة.. وهل ثمة شيء آخر؟

– كلا.. فلم يتسن لي بعد أن أفتش أدراجها؛ لأنها عجلت بالعودة، وعنفتني للعبث بأدراجها.. إنها تثير أعصابي إلى أبعد حد.. إنها امرأة كريهة.

فتمتم "**بوارو**" قائلا:

– "**إيفلين هوب**".

– ماذا تقول؟

وكان في نظراتها ما ينبئ بأن هذا الاسم كان له وقع لديها.. فقال لها:

– هل تعرفين هذا الاسم؟

– أجل.. إنه الاسم الذي اتخذته "**إيف**" لنفسها عند رحيلها إلى "**أستراليا**"، لقد ورد الاسم بصحيفة "**صنداي كوميت**".

– لقد ورد الكثير بـ"**الصنداي كوميت**"، ولكن لم يرد بها هذا الاسم. لقد عثرت الشرطة بهذا الاسم مدونا في كتاب بمنزل السيدة "**أبوارد**".

– إذن فقد كانت هي... ولم تقض نحبها هناك.. لقد كان "**مايكل**" على حق.

– "**مايكل**"؟

– لا يمكنني أن أتخلف عن ساعة الغداء.

وانطلقت تركض، ووقف "**بوارو**" يتطلع إليها وهي تبتعد عنه، وقد أدهشه انصرافها المفاجئ.

الفصل الثاني والعشرون

قدمت "**إيف كاربنتر**" إلى منزل آل "**سمر هايز**"، كما يفعل سائر الناس. كانت تبحث عن "**هيركيول بوارو**"، وما إن وجدته أمامها حتى بادرته قائلة:

– إنك شرطي سري ذائع الصيت، مشهور بالكفاءة والقدرة. إنني أريد أن أعهد إليك بعمل ما.

– ربما كنت راغبا عن ذلك!

– إنكم تتقاضون أجركم، أليس كذلك؟

– هكذا يقولون.

– إنني سأدفع لك ما تريد.

– في مقابل ماذا؟... ماذا تريدين مني القيام به؟

– أن تحميني من الشرطة.. إنهم قوم معتوهون.. إذ يبدو أنهم يعتقدون أنني قتلت السيدة "**أبوارد**" وهم يحومون حولي ويضيّقون عليّ الخناق. إن أعمالهم هذه لتكاد أن تذهب بعقلي.

وتطلع إليها "**بوارو**". إن بعض ما تقوله حق. كانت تبدو أكبر سنا عن ذي قبل، وتحدثت دوائر الظلال التي تحيط بعينيها عن تلك الليالي المتواصلة من الأرق والسهاد، وكانت يدها تهتز في عصبية وهي تشعل سيجارتها، وقالت في انفعال:

– يجب أن توقّف هذا.. يجب.

– سيدتي، ماذا في وسعي أن أفعل؟

– أبعدهم عني بوسيلة أو بأخرى.

– ألا يستطيع زوجك أن يفعل شيئا؟

– إنني لم أحدثه في الأمر. إنه يتحدث بأسلوبه المتعالي عن ضرورة تزويد الشرطة بكل معونة ممكنة. وكان يحضر اجتماعا سياسيا في ليلة الحادث.

– وماذا عنك؟

– كنت بالمنزل، أستمع إلى الإذاعة.

– هل تستطيعين إثبات ذلك؟

– أنّى لي إثبات ذلك.. لقد عرضت على خادمنا "**كروفت**" مبلغا خياليا؛ ليقول إنه رآني ملازمة الدار.. وقد رفض اللعين.

– لقد كان هذا منك مسلكا يجافي الصواب.

– لماذا؟.. أما كان من شأن هذا أن يضع حدا للأمر؟

– لعلك بعملك هذا قد أقنعت خادمك بأن لك ضلعا في الجريمة.

– لقد دفعت لـ"**كروفت**" من أجل...

– من أجل ماذا؟

– لا شيء..

– حاولي أن تتذكري.. إنك تنشدين مساعدتي.

– كان "**كروفت**" هو الذي تلقّى الرسالة منها.

– من السيدة "**أبوارد**"؟

– أجل.. وذلك حينما اتصلت بي تسألني أن أزورها في تلك الليلة.

– وتقولين إنك لم تذهبي؟

– وما الذي كان يضطرني إلى زيارتها؟ هذه المرأة العجوز المتهالكة. لم يدر بخلدي أن ألبّي دعوتها على الإطلاق.

– متى أبلغت إليك هذه الرسالة؟

– حينما كنت بالخارج.. ولا أدري متى على وجه التحديد.. فيما بين الخامسة والسادسة فيما أعتقده، وكان "**كروفت**" هو الذي تلقى المكالمة.

– ونفحته مبلغا من المال لكي لا يتحدث عن تلقيه الرسالة..

– لماذا؟

– لأنني كنت لا أريد أن يزجّ باسمي في التحقيق.

– ثم تعرضين عليه مبلغا آخر ليكون شاهد نفي؟ ألم يدر بخلدك ماذا تبادر إلى ذهنه هو وزوجته لعرضك هذا؟

– وماذا يعنيني من أمرهما؟

– قد يعني هذا هيئة المحلفين.

فحملقت إليه بعينيها، قائلة:

– هل أنت جاد فيما تقول؟

– كل الجد..

– أو يصدّقون الخدم.. ولا يصدقونني؟

وتطلع "**بوارو**" إليها.. إلى هذا المثل الحي لقصر النظر وعدم تقدير

الأمور!.. ثم انبرى يقول لها في صوت هادئ:

– سيدتي، لماذا لا تستعملين العوينات الطبية؟ إنك بحاجة إليها.

– إنني أستعملها أحيانا.. وكنت أستعملها في طفولتي.

– وكانت أسنانك..

فحملقت إليه متسائلة:

– فيم كل هذه الأسئلة؟

– لقد أصبح فرخ البط القبيح بجعة جميلة.

– أجل، لقد كنت فعلا قبيحة.

– وهل كانت أمك ترى فيك هذا؟

– لست أذكر شيئا عن أمي، ما هذا الذي تتحدث عنه بحق السماء؟ هل تقبل ما عرضته عليك؟

– أعتذر لعدم استطاعتي ذلك؛ لأنني أعمل في هذه القضية لحساب "**جيمس بنتلي**".

– "**جيمس بنتلي**"؟.. آه هذا الرجل المعتوه، الذي قتل الخادم العجوز.. وما علاقته بآل "**أبوارد**"..؟

– ربما توجد ثمة علاقة.

– حسنا.. هل هي مسألة نقود؟.. كم تريد؟

– هذا هو عيبك يا سيدتي.. إن تفكيرك كله ينتهي إلى المسائل المالية.. إن لديك الكثير من المال وتعتقدين أن المال هو كل شيء.

– لم يكن المال دائما في متناول يدي.

– وهذا هو بيت القصيد.. إن هذه الحقيقة توضّح لي الكثير.

- 2 -

عادت "**إيف كاربنتر**" من حيث أتت وهي شاردة الذهن، ساهمة الطرف. وردّد "**بوارو**" فيما بينه وبين نفسه بهدوء: "**إيفلين هوب**".

وهكذا اتصلت السيدة "**أبوارد**" قبل موتها بكل من "**ديردر هندرسون**"، و"**إيفلين كاربنتر**"، ومن يدري لعلها اتصلت بغيرهما. ربما.

وأقبلت "**مورين**" مندفعة كعادتها قائلة:

- إنه المقص في هذه المرة.. آسفة لتأخر طعام الغداء. إن لدي ثلاثة مقصات، ولست أستطيع أن أجد واحدا منها.

واتجهت إلى المكتب تعيد مأساة انقلابه رأسا على عقب، وإن كانت هذه المرة قد عثرت بما تبحث عنه بأسرع مما حدث في المرة السابقة.. وعادت "**مورين**" إلى مغادرة الغرفة وهي سعيدة بما ظفرت به.

ونهض "**بوارو**" يعيد الأشياء المبعثرة إلى مكانها.. وكان من بين هذه الأشياء الصور الفوتوغرافية.

والتقط إحداها وراح يتأمّلها بإمعان.. وسمع وقع أقدام في الدهليز.. وأسرع "**بوارو**" بإسقاط الصورة فوق الأريكة، وبوضع وسادة فوقها، ثم جلس فوقهما في حركة سريعة لا تتفق مع سنه. ومع الحركة الأخيرة كانت "**مورين**" عند الباب، عادت تبحث عن وعاء به بعض الخضر، وأومأ "**بوارو**" من مكانه إلى الوعاء، فالتقطته ناعية على نفسها شرود ذهنها. وبعد أن هدأ روعها استلفت نظرها جلسة "**بوارو**" فوق الوسادة، فقالت له:

- ما الذي يضطرك إلى الجلوس فوق الأريكة؟.. إنه مقعد غير مريح!

- أجل.. ولكنني معجب بهذه اللوحة التي أمامي على الجدار.

وتطلعت "**مورين**" إلى اللوحة الزيتية لضابط بحري بمنظاره المكبر.

- الحق معك.. إنها تكاد أن تكون الشيء الوحيد الثمين في هذا البيت. إن "**چوني**" يعتز بها كثيرا.. إنها لجده الأكبر الذي أبى أن يغادر سفينته أثناء غرقها.. إن "**چوني**" جد فخور بها.

فعقب "**بوارو**" بقوله:

- أجل.. إن لدى زوجك ما يباهي به!

- 3 -

كانت الساعة قد بلغت الثالثة حينما وصل "**بوارو**" إلى منزل دكتور "**ريندل**"، وفتحت له الباب السيدة "**سكوت**" مدبرة البيت العجوز، فسألها عن السيدة "**ريندل**".

وكانت هذه جالسة في غرفة الاستقبال تستمع إلى الراديو، وكانت كعهده بها منذ أول لقاء بينهما.. حذرة، في خشية منه، أو مما يمثله. كما بدت أشد شحوبا واكفهرارا عن ذي قبل. بل وكانت أكثر نحافة.. وبادرها قائلا:

– سيدتي، أريد أن أوجه إليك سؤالا؟

– سؤالا؟ أجل، ما هو؟

– هل اتصلت بك السيدة "**أبوارد**" يوم وفاتها؟

وبعد أن رمقته بنظرة حادة، أومأت إيجابا.

– ومتى كان ذلك؟

– لقد تلقّت السيدة "**سكوت**" المكالمة التليفونية.. كانت الساعة حوالي السادسة، فيما أظن.

– وهل كان مضمون الرسالة دعوتك إلى زيارتها في تلك الليلة؛ لقضاء السهرة معها وأنها ستكون وحيدة؛ لأن "**جانيت**" سوف تكون بالخارج، وأنها تود لو آنست وحشتها؟

– نعم..

– هل حددت لك ساعة الزيارة؟

– الساعة التاسعة أو ما بعدها.

– وهل لبيت الدعوة؟

– كنت أعتزم هذا.. غير أنني شعرت بميل إلى النوم بعد تناول طعام العشاء.. ولم أستيقظ قبل العاشرة.. ورأيت أن الوقت متأخر.

– ألم تتحدّثي إلى الشرطة بشأن هذه الدعوة؟

فاتسعت عيناها قائلة في براءة الأطفال:

– أو كان يجب أن أفعل هذا؟.. مادمت لم أتوجه لزيارتها؟.. لقد كنت أشعر بعقدة الذنب؛ لأنه خيل إليّ أنني لو كنت استجبت لدعوتها، لكانت لم تزل على قيد الحياة حتى الآن.. أرجو ألا يكون هذا هو الواقع.

– اطمئني بالا يا سيدتي...

ثم توقف عن الكلام قليلا ليبتدرها قائلا:

– سيدتي، مم تخافين؟

فتمالكت رباطة جاشها وأجابت:

– أخاف؟.. إنني لا أخشى شيئا...

– ولكنك في فزع من شيء ما.

– هراء.. مم.. مم أخاف؟

– ربما كنت تخافينني.

ولم تعقب بشيء، ولكنها حملقت إلى وجهه، وهي تومئ برأسها نفيا.

الفصل الثالث والعشرون

- 1 -

قال "**سبنس**":

– إن هذا سيؤدي بنا إلى الجنون.

فقال "**بوارو**" مهدئا روعه:

– إن الأمر لم يبلغ بعد هذا الحد من السوء.

– ذلك هو رأيك دائما.. إن كل معلومات جديدة تزيد الأمور تعقيدا، هائنت تحدثني بأن السيدة "**أبوارد**" اتصلت تليفونيا بثلاث نساء.. وسألت كل واحدة منهن أن تزورها، ففيم كان ذلك؟.. أتراها لم تكن تعرف أيهن هي "**ليلي جامبول**"؟ ترى أن الأمر لا يتصل بـ"**ليلي جامبول**" على الإطلاق؟ وهذا الكتاب المدون به اسم "**إيفلين هوب**"؟ إنه يوحي إلينا بأن السيدة "**أبوارد**" و"**إيف**" هما شخص واحد.

– ذلك يتفق مع ما قاله "**جيمس بنتلي**" عن انطباعاته بعد استماعه لما تحدثت به السيدة "**ماك جنتي**" إليه.

– لقد ظننت أنه لم يكن واثقا بذلك.

– ليس من شأن "**جيمس بنتلي**" أن يكون واثقا بشيء، ومع ذلك إذا كان "**جيمس بنتلي**" قد اعتقد أن السيدة "**ماك جنتي**" كانت تقصد السيدة "**أبوارد**"، فقد يكون مصيبا في استنتاجه هذا.

– إن آخر ما ورد إلينا من معلومات من "**أستراليا**"، وليس من "**أمريكا**" كما قيل من قبل، تدل على أن "**إيفلين هوب**" قد قضت نحبها منذ عشرين عاما.

– هذا ما علمته.

– إنك دائما على علم بكل شيء يا "**بوارو**"؟

فلم يعقب "**بوارو**" بشيء، وإنما تحدث في الموضوع قائلا:

– لقد علمنا أن "**إيفلين هوب**" توفيت بـ"**أستراليا**" هذا من ناحية، وماذا لدينا من الناحية الأخرى؟

– لدينا من الناحية الأخرى، أن السيدة "**أبوارد**" أرملة أحد رجال الصناعات الكبرى في الشمال، والتي كانت تقيم معه على مقربة من "**ليدز**"، وأنجبت منه ولدا، وقد توفِّي زوجها بعد مولد الابن، فآثرت أن تقضي معظم أعوامها بالخارج؛ نظرا لضعف صحة الابن.

– بماذا كانت تسمى وهي فتاة؟.. أعني اسمها الأول قبل الزواج.

– "**هارجريفز**".. ولكن ما أهمية ذلك؟

– إن "**إيفا كان**" أو "**إيفلين هوب**"، ربما تكون قد دبَّرت أمر وفاتها؛ لتبدأ حياة جديدة باسم "**هارجريفز**".

– لقد انقضت على هذه الأحداث فترة طويلة... ولكن إذا ما افترضنا أن هذا صحيح.. وافترضنا أنها كانت تحتفظ بإحدى صورها الفوتوغرافية، وأن السيدة "**ماك جنتي**" قد عثرت على هذه الصورة.. فتكون السيدة "**أبوارد**"

هي التي قتلت السيدة "**ماك جنتي**" .

– كل هذا ممكن.. وكان "**روبين أبوارد**" يذيع كلمته تلك الليلة. وبناء على ما قالته السيدة "**سويتيمان**"، فإن السيدة "**أبوارد**" لم تكن بالكسيحة كما كانت تحب أن تبدو. وهذه المعلومات بناء على ما تحدثت به إليها الوصيفة "**جانيت جروم**" .

– يبقى بعد هذا التسلسل المقنع أن السيدة "**أبوارد**" هي الأخرى قد قُتلت بعد تعرفها على إحدى الصور الفوتوغرافية، فهل تريد أن تنتهي من ذلك إلى أنه لا صلة بين الحادثتين؟

– كلا.. كلا، إن الصلة بين الجريمتين لا شك فيها.

– إن "**إيفلين هوب**" هي مفتاح هذه المشكلة، ولا تنس أن "**إيفلين هوب**".. أو "**إيفا كان**" كانت مربية في "**بيتال كريج**" .

– وماذا يعني ذلك؟

– حيث توجد مربية يجب أن يوجد أطفال.. أو على الأقل طفل واحد.. فماذا كان مصير هذا الطفل؟.. أو أولئك الأطفال؟

– كان هناك طفلة وطفل فيما أعتقد. وقد تولى أمرهما بعض الأقارب.

– إذن فلدينا اثنان يجب أن ندخلهما في حسابنا.. اثنان يحتمل أن يحتفظا بصورة فوتوغرافية بغية الانتقام.

فأسرع "**سبنس**" يقول:

– لست أصدق شيئا من هذا.

– يجب ألا نستبعدهما من تفكيرنا، مهما يكن من أمر الدوافع إلى القتل. أعتقد أنني أعرف الحقيقة الآن، وإن كان ثمة واقعة تضللني وتنحرف بتفكيري.

– وأخيرا "**بوارو**" يعترف بالحيرة.

– أرجوك أن تتثبت من شيء واحد يا صديقي.. ليس من شك في أن "**إيفا كان**" قد غادرت البلاد قبل تنفيذ الحكم في "**كريج**". أليس كذلك؟

– بلى.

– وكانت حينذاك تنتظر مولودا؟

– تماما.

– رباه!.. ما أشد غبائي!... إن الأمر في غاية البساطة.

- 2 -

قال "**بوارو**" في التليفون:

– أريد محادثة السيدة "**أوليفر**".

ولم يكن من اليسير تنفيذ هذه المحادثة؛ إذ كانت السيدة "**أوليفر**" جادة في عملها، مكبة عليه.. غير أن "**بوارو**" ألح في طلبها إلى أن سمع صوتها اللاهث وهي تقول:

– ماذا هناك؟ ماذا دعاك إلى الاتصال بي في مثل هذه الساعة؟.. لقد كنت مستغرقة في فكرة قصتي الجديدة.

– إن ما أريد أن أحدّثك به أكثر أهمية من القصة.

– بالنسبة إليك.. إن عملي دائما في المقام الأول.

ولم يعر "**بوارو**" اعتراضها انتباها.. وراح يوجه إليها الأسئلة الموضوعية، وكانت تجيب عليها ببعض الغموض:

– أجل.. أجل.. لست أعرف اسم المسرح.. كان أحدهم يدعى "**سيسيل**"، والآخر يدعى "**مايكل**".

– ولكن لماذا "**سيسيل**" و"**مايكل**"؟

عودي إلى أحداث قصتك قبل أن يشرد بك ذهنك يا سيدتي.

– لست أدري لماذا لا تلقون القبض على دكتور "**رينديل**"؟ لو كنت من رئيس شرطة "**سكتلنديارد**" لألقيت القبض عليه.

– هذا ممكن.. أرجو لك التوفيق في قصتك الجديدة.

– لقد بددت الفكرة بمقاطعتك التليفونية لي.

واعتذر لها "**بوارو**"، وأعاد السماعة إلى مكانها وهو يبتسم لـ" **سبنس**"، قال:

– سنذهب الآن.. أو على الأصح سأذهب بمفردي؛ لزيارة ممثل شاب يدعى "**مايكل**" يقوم بالأدوار الثانوية في مسرح "**كالنكايْ**".. وأرجو أن يكون هو "**مايكل**" المنشود.

– فيم كل هذا بحق السماء..؟

ولمس "**بوارو**" من لهجة "**سبنس**" مدى غضبه.. وبلباقته المعهودة حاول أن يهدِّئ من روعه، بحديث فلسفي عن الأسرار التي يخيل إلى البعض أنها في طي الكتمان، مع أنها معروفة للجميع. وضاعفت هذه المحاضرة من غضب المفتش "**سبنس**"، الذي كان يحاول أن يسيطر على أعصابه، حتى لا يدفعه حنقه المتزايد إلى فعل ما يعاب عليه.

الفصل الرابع والعشرون

انتهت جلسة التحقيق في قضية مقتل السيدة "**أبوارد**"، وصدر القرار بقيد القضية على أنها جريمة قتل ضد مجهول.

وبعد التحقيق دعا "**هيركيول بوارو**" جميع الشهود إلى ضيافته بـ"**لونج ميدوز**".

وقد وفِّق "**بوارو**" إلى إعادة النظام إلى غرفة الاستقبال، واستبعاد الكلاب لكي لا تزعج الضيوف، وإعداد المقاعد بحيث تكون نصف دائرة تصدر "**هيركيول بوارو**" رأسها. وبدأ حديثه قائلا:

– سيداتي، سادتي...

ثم توقف.. وكانت كلماته التالية غير متوقعة، بل بدت أقرب إلى التهريج منها إلى أي شيء آخر، قال:

– لقد ماتت السيدة "**ماك جنتي**".. كيف ماتت؟

لقد جثت فوق ركبتيها كما أفعل..

لقد ماتت السيدة "**ماك جنتي**".. كيف ماتت؟

ماتت هكذا..

وبعد أن تبين ما اختلجت به ملامحهم، استطرد قائلا:

– كلا، إنني لم أفقد عقلي.. إن ما رددته على مسامعكم هو أغنية خاصة بملهاة للأطفال.. وربما يكون أحدكم قد ردد هذا النشيد من قبل. لقد كانت السيدة "**أبوارد**" تردده، ولقد سمعتها تردده أمامي، مع اختلاف يسير بالنسبة لنهاية كل من السيدة "**ماك جنتي**" والسيدة "**أبوارد**".. ولتحقيق الغرض من اجتماعنا هذا يجب أن نبدأ القصة من أولها.. ونعود القهقرى إلى أيام كانت السيدة "**ماك جنتي**" تجثو فوق ركبتيها لتقوم بتنظيف بيوت الآخرين. ثم كان أن قتلت السيدة "**ماك جنتي**" واتهم "**جيمس بنتلي**" بقتلها، وصدر عليه الحكم بالإعدام، ولأسباب معينة، لم يكن المفتش "**سبنس**" الذي عهد إليه بالتحقيق في القضية مقتنعا بإدانة "**بنتلي**"، على الرغم من قوة الأدلة التي أقيمت ضده، وقد كنت متفقا في الرأي معه. فقدمت إلى بلدتكم هذه لأتولى الإجابة عن هذا السؤال: «كيف ماتت السيدة "**ماك جنتي**"؟ ولماذا ماتت؟» ولن أثقل عليكم بسرد تاريخ طويل معقد.. وأُصدقكم القول، إن زجاجة حبر هي التي كانت دليلي الأول في هذه القضية.. وكانت صحيفة "**صنداي كوميت**" التي دأبت السيدة "**ماك جنتي**" على قراءتها، قد نشرت أربع صور فوتوغرافية في يوم الأحد السابق ليوم وفاتها، وإنكم تعرفون كل شيء عن هذه الصور. وقد حدث أن تعرّفت السيدة "**ماك جنتي**" على إحدى هذه الصور التي كانت تطابق صورة فوتوغرافية وقع عليها نظرها في أحد البيوت التي كانت تعمل بها، وقد تحدثت بهذا إلى "**جيمس بنتلي**" الذي لم يعلق أهمية كبيرة على ما سمعه في حينه، ولا من بعد.. وفي الواقع إنه لم يعر حديثها انتباها. غير أنه كان يظن أن الصورة التي تعرفت عليها السيدة "**جنتي**" قد وقع نظرها عليها في منزل السيدة "**أبوارد**"، وذلك إثر ما انطبع في نفسه من حديث السيدة "**ماك**

جنتي" عن كبرياء بعضهن دون أن تذكر اسما مُعينا، ونحن وإن كنا لا يجب ألا نعول على بعض ظنه، إلا أننا جميعا نعرف عن السيدة "**أبوارد**" كبرياءها وصلفها.. وكما تعرفون جميعا.. وقد كان بعضكم حاضرا، فقد قمت بعرض هذه الصور بمنزل السيدة "**أبوارد**"، ولمحت في عينيها بريق التَّعرف على إحدى الصور، وقد اعترفت لي بهذا فيما بعد. وبعد أن راوغتني قليلا، أشارت إلى صورة "**ليلي جامبول**".. غير أن هذا منها كان أبعد ما يكون عن الصدق، ولدواع خاصة بها كانت السيدة "**أبوارد**" تريد أن تحتفظ بالسر لنفسها، وأومأت إلى غير الصورة المعنية لتضليلي... إلا أن شخصا واحدا لم يخدع... ألا وهو القاتل.. كان هذا القاتل يعرف الصورة التي تعرفت عليها السيدة "**أبوارد**". وأوجز القول فأصارحكم بأن تلك الصورة كانت صورة "**إيفا كان**".. وهي المرأة التي كانت الشريكة، أو الضحية، أو الروح الموجهة في قضية "**كريج**" المشهورة. وفي مساء اليوم التالي، قتلت السيدة "**أبوارد**".. قتلت لنفس السبب الذي قتلت من أجله السيدة "**ماك جنتي**".. وقبل وفاة السيدة "**أبوارد**" تلقت ثلاث نساء مكالمات تليفونية. السيدة "**كاربنتر**" والسيدة "**رينديل**"، والآنسة "**هندرسون**"، والمكالمات الثلاث كانت تتضمن رسالة واحدة من السيدة "**أبوارد**"، ألا وهي دعوتهن إلى زيارتها في تلك الليلة، حين كانت خادمتها في إجازة، وابنها بالخارج في صحبة السيدة "**أوليفر**" في سهرة مسرحية. الأمر الذي نستدل منه على أنها كانت تريد أن تنفرد بكل منهن في حديث خاص، والآن على أي أساس كان اختيار السيدة "**أبوارد**" لأولئك الثلاث؟ هل كانت السيدة "**أبوارد**" تعرف أين شاهدت صورة "**إيفا كان**"؟ أم لعلها كانت لا تذكر أين وقع نظرها على هذه الصورة؟ وهل تشترك ثلاث من النساء في أمر واحد..؟ إنهن لا يشتركن إلا في شيء واحد.. ألا وهو السن. إنهن جميعا في حوالي الثلاثين من عمرهن... ولعلكم اطلعتم على المقال الوارد بصحيفة "**صنداي كوميت**"، وأدركتم أن "**إيفا كان**" كانت تنتظر مولودا، وأن من سألتهن السيدة

"**أبوارد**" أن يزرنها كن جميعا في سن ابنة "**إيفا كان**" .. ويبدو من هذا كله أن إحدى النساء المقيمات في "**برودهيني**" هي ابنة كل من القاتل المشهور "**كريج**" وعشيقته "**إيفا كان**"، كما يبدو أن هذه الابنة كانت على استعداد لترتكب كل ما من شأنه أن يحول دون ذيوع هذه الحقيقة، بما في ذلك القتل مرة، ومرتين.. ولنعد الآن إلى استعراض النساء الثلاث اللاتي تلقين الرسالة التليفونية. تقول السيدة "**كاربنتر**" إنها تلقت الرسالة، ولكنها لم تستجب لما دعيت إليه. وتقول السيدة "**ريندل**" إنها كانت تعتزم تلبية الدعوة، ولكنها استسلمت للنوم في مقعدها بعد تناول طعام العشاء. أما الآنسة "**هندرسون**" فقد توجهت فعلا إلى المنزل، ولكنها وجدته مظلما، ولم يستجب لطرقاتها أحد فعادت أدراجها.

– هذه هي قصص النساء الثلاث... ولكن هناك دليلا ينهض ضد هذه الأقوال، فثمة قدح القهوة الثاني الذي وجدت به آثار أحمر شفاه... وثمة أقوال الشاهدة "**أدنا**" التي قررت أنها رأت سيدة شقراء الشعر تدخل المنزل، وهناك أيضا تلك الرائحة العطرة التي كانت تفوح في البهو، ولا تستعملها منهن سوى السيدة "**كاربنتر**"...

وهنا، ولأول مرة، يُقاطع "**بوارو**".. إذ صاحت "**إيف كاربنتر**":

– كذب.. كذب دنيء حقير... إنني لم أدخل المنزل! بل إنني لم أقترب من هذا المنزل في تلك الليلة! "**جاي**" ألا يمكنك أن تفعل شيئا حيال هذه الأكاذيب..؟

فاستشاط "**جاي كاربنتر**" غضبا وصاح:

– سيد "**بوارو**" دعني أبصرك بأن هناك قانونا للتشهير والقذف، وهؤلاء السادة شهود على ما كان منك.

– هل يعد قذفا مجرد قولي إن زوجتك تستعمل عطرا معينا.. وبهذه المناسبة، أحمر شفاه معين..؟

فصاحت "**إيف**":

– هراء..! هراء..! أن أي شخص بوسعه أن ينثر عطري.

فابتسم "**بوارو**" على غير ما كان متوقَّعا منه، وهو يقول:

– تماما يا سيدتي..! يمكن لأي شخص أن يفعل هذا.. ولقد كانت هذه الفكرة مفتاحا لما أعقبها من نظريات رائحة عطر وآثار أحمر شفاه، لقد كان من اليسير إزالة آثار أحمر شفاه من القدح، وكانت الفرصة سانحة بخلو المنزل. فلماذا لم تزل هذه الآثار..؟ لماذا..؟ ليس من شك في أنها تركت عمدا، تركت لتوحي بأن القاتل امرأة. وقد استعرضت ما كان من أمر الاتصالات التليفونية، فوجدت أنها كانت كلها رسائل مبلغة. كما تصادف إن أيًّا منهن لم تتحدث إليها السيدة "**أبوارد**" شخصيا. لقد دبر الأمر على أساس الزج باسم امرأة في الجريمة.. أي امرأة، وعدت أسائل نفسي عن السبب في كل هذا..؟ وبعد أن قلبت الأمر على كل وجه، كان أمامي دائما هذا الجواب الواحد. لم يكن القاتل امرأة... لقد كان رجلا..

وانتقل بنظراته بين الحضور.. وكانوا جميعا ملتزمين جانب الصمت، وكأن على رءوسهم الطير.

ولم يعقب على حديثه سوى اثنين:

"**إيف كاربنتر**" التي انبرت تقول، وقد أطلقت من صدرها زفرة حارة:

– لقد أصبح حديثك منطقيا!

وأردفت السيدة "**أوليفر**" مؤيدة:

– بكل تأكيد.

وواصل "**بوارو**" حديثه قائلا:

– وهكذا بلغت من استقرائي للأدلة هذه النقطة.. إن رجلا هو الذي قتل السيدة "**أبوارد**"، وأن رجلا هو الذي قتل السيدة "**ماك جنتي**"! ولكن من عساه أن يكون هذا الرجل؟ إن الدافع إلى القتل يجب أن يكون واحدا، وهو يحوم حول إحدى الصور الفوتوغرافية. فلدى من يا ترى كانت هذه الصورة؟ هذا هو السؤال الأول؟ وفيمن كان الاحتفاظ بها؟

كانت لدى شخص يعتز بأسرته... هذا الاعتزاز الذي حدا به إلى الإقامة بمنزل الأسرة ليعيش بين أطياف الماضي، وهذا الشخص كان يؤثر الموت على أن يعرف الناس... ويعرف أبناؤه أن "**مورين سمر هايز**" هي ابنة القاتل "**كريج**" و"**إيفا كان**" . قلت إن هذا الشخص كان على استعداد للموت في سبيل كتمان هذا السر، ولكن هل يؤدي موته إلى الغرض المنشود؟ وسرعان ما تتحول هذه التضحية إلى فكرة القتل ذودا عن مبادئه وكرامته وكرامة أسرته.

ونهض "**جوني سمر هايز**" عن مقعده... وكان صوته هادئا، حينما بدأ يتحدث في لهجة ودية، وقال:

– إن كل ما تحدثت به، إن هو إلا باطل الأباطيل، وهراء في هراء. ماذا ترى في نفسك لتجلس هكذا، تسمعنا النظرية تلو الأخرى؟ ثم تعطي نفسك الحق في نسبة أشياء إلى زوجتي.

ثم انفجر غاضبا، وصاح:

– أيها الخنزير، القذر اللعين..

واندفع نحو "**بوارو**" على غرَّة من الجميع.. ولكن سرعان ما كان المفتش "**سبنس**" يقف حائلا بين "**بوارو**" وبين "**سمر هايز**" قائلا:

– ميجور "**سمر هايز**" هدئ من روعك.. هدئ من روعك..

واستعاد "**سمر هايز**" رباطة جأشه، وقال في استخفاف:

– آسف.. إن الأمر يبدو مضحكا..! إن أي إنسان يمكنه أن يضع هذه الصورة الفوتوغرافية في أحد الأدراج.

فعقب "**بوارو**" بقوله:

– تماما.. وإنه لمما يسترعي الانتباه بشأن هذه الصورة أنها لا توجد بها بصمات أصابع، الذي كان من المفروض أن يكون إذا افترضنا أن السيدة "**سمر هايز**" كانت تحتفظ بالصورة وتعلم بأمرها.

فصاحت "**مورين**" قائلة:

- أعتقد أنك رجل مجنون.. إنني لم يسبق لي أن وقع نظري على هذه الصورة من قبل... اللهم إلا في ذلك اليوم في منزل السيدة "**أبوارد**".

- من حسن حظك أنني أعرف أنك تقولين الحق.. إن الصورة الفوتوغرافية قد دسّت عليك قبل أن أعثر عليها ببضع دقائق.. فلقد قمت مرتين بإعادة ما بعثر من أشياء إلى مكانها بهذا الدرج، وفي المرة الأولى لم تكن هذه الصورة موجودة، وفي المرة الثانية كانت موجودة.. وإنني لأعرف من دسها عليك..

وفي لهجة جادة،متحفزة واصل "**بوارو**" كلامه:

- لقد ارتكب هاتين الجريمتين رجل، والدافع إلى كل من الجريمتين هو أبسط الدوافع، ألا وهو المال. لقد وجد في منزل السيدة "**أبوارد**" كتاب مدون على غلافه الداخلي اسم "**إيفلين هوب**".. و"**هوب**" هو الاسم الذي اتخذته "**إيفا كان**" عند مغادرتها لـ"**إنجلترا**"، وقد يكون هذا الاسم أطلق على ابنتها. غير أن "**إيفلين**"- وكان من المحتمل- يمكن أن يكون أيضا اسما لرجل، ولست أدري على أي أساس افترضنا أن طفل "**إيفا**" كان بنتا على أساس ما نشر بصحيفة "**صنداي كوميت**"، ولكن الصحيفة لم تجزم بهذا؛ لأن "**إيفا كان**" غادرت "**إنجلترا**" قبل مولد طفلها، ولقد توقفت عند هذه النقطة طويلا، وبعد أن ضللتني الصحيفة، واختلط عليّ الأمر.. وكان أن عاد "**إيفلين هوب**"، ابن "**إيفا كان**" إلى "**إنجلترا**"، وكان شابا موهوبا، استلفت نظر سيدة ثرية لا تعرف شيئا عن أصل مولده، سوى ما سرده على مسمعها من قصة خيالية، وهي قصة صغيرة عن مأساة راقصة باليه روسية توفيت في "**باريس**" نتيجة لإصابتها بمرض صدري خطير..! وكانت هذه السيدة وحيدة؛ لأنها فقدت ولدها حديثا، وتسمّى الكاتب المسرحي الموهوب باسم "**روبين أبوارد**"، بدلا من "**إيفلين هوب**"، أليس كذلك يا سيد "**أبوارد**"؟

فصاح "**روبين أبوارد**" في ذعر قائلا:

كلا، بكل تأكيد..! إنني لا أعرف عم تتحدث.

- لا يمكنك أن تنكر هذه الواقعة.. إنّ ثمة من يعرفونك بذلك الاسم،

واسم "**إيفلين هوب**" المدون بالكتاب مدون بخط يدك، وهو نفس الخط الذي دونت به كلمة أمي فوق ظهر الصورة. وقد وقع نظر السيدة "**ماك جنتي**" على الصورة وما دون بها، أثناء قيامها بتنظيم حاجياتك.

وكان أن تحدثت إليك عن هذه الصورة بعد إطلاعها على الصوة المنشورة بـ"**صنداي كوميت**"، وافترضت السيدة "**ماك جنتي**" أن الصورة للسيدة "**أبوارد**" وهي في مقتبل العمر، إذ لم يكن لديها أية فكرة عن أن السيدة "**أبوارد**" ليست بوالدتك الحقيقية. ولكنك كنت تعلم أن السيدة "**ماك جنتي**" قد تتحدث إلى السيدة "**أبوارد**" عن الصورة، وأنها إذا فعلت ذلك فإن الحقيقة ستفتضح ويكون في ذلك نهايتك؛ إذ إن للسيدة "**أبوارد**" آراءها الصارمة في موضوع الوراثة، وكان من المستحيل أن تتسامح في أن يكون ابنها المتبنَّى ابنا لقاتل مشهور، كما أنها ما كانت لتغفر لك أكاذيبك عن مولدك.. وبناء على هذه الاعتبارات، كان من المتعين أن تصمت السيدة "**ماك جنتي**" إلى الأبد. ودبرت الخطة، فوعدتها بهدية لكي لا تتحدث بشيء، ثم قمت بزيارتها في الليلة التالية، بينما كنت في طريقك إلى الإذاعة، وقمت بقتلها..! بهذه الطريقة..

وبسرعة التقط "**بوارو**" المطرقة من حيث كانت فوق الرف، ولوح بها فوق رأس "**روبين**"، وصرخ معظم الحاضرين فزعا. كما أرسل "**روبين أبوارد**" صرخة مدوية، وراح يقول:

– لا تفعل هذا بي.. لقد حدث هذا عرضا... أقسم لك أنه كان قضاء وقدرا.. إنني لم أتعمد قتلها، ولم أكن قد بيتُّ النية على ذلك. لقد فقدت صوابي أقسم أن هذا هو ما كان فعلا.

– لقد قمت بإزالة آثار الدماء، وأعدت المطرقة إلى مكانها.

– قلت لك إنني لم أكن أعتزم قتلها.. إنني غير مسؤول عن موتها. إن نزعة القتل ليست في دمي... إنك لا يمكن أن تسلمني إلى المشنقة لغير ما ذنب جنيته..

فتمتم "**سبنس**" قائلا:

- حقا..؟ سوف ترى ماذا نحن فاعلون بك...!

وفي لهجة رسمية حادة استطرد قائلا:

- من واجبي أن أبصرك يا سيد "**أبوارد**"، بأن ما تنطق به سوف يُتخذ دليلا ضدك.

الفصل الخامس والعشرون

- الواقع يا سيد "**بوارو**"، أنني لا أعرف كيف انتهى بك الأمر إلى الارتياب في "**روبين أبوارد**"؟

وتأمل "**بوارو**" المحيطين به قائلا:

- كان يجب أن تساورني الريبة فيه قبل ذلك. لقد كان مفتاح القضية في تلك الجملة التي نطقت بها السيدة "**سمر هايز**" في حفل الليلة، فلقد قالت لـ"**روبين أبوارد**": «أحب أن أكون ابنة متبناة، أتحب هذا..؟» وكانت الكلمتان الأخيرتان تعنيان كل شيء لدي، لما كشفتا عنه من أن السيدة "**أبوارد**" لم تكن أم "**روبين**" الحقيقية، يضاف إلى هذا أنني لم أكن جاحدا في معاملة "**روبين**" للسيدة "**أبوارد**" معاملة الولد المدلل أو الابن المتفاني في محبة أمه. وجدير بالذكر أن معاملة السيدة "**أبوارد**" لـ"**روبين**" لم تكن سوى معاملة المالك لما يملك ويقتني، وغني عن البيان أن "**روبين**" كان قد استمرأ الحياة الهانئة، والعيش الرغد. ولم يكن ليدع امرأة مثل السيدة "**ماك جنتي**" لتخرجه من هذه الجنة، وهكذا قرر أن يقتل السيدة "**ماك جنتي**"، ثم يعمد إلى تصوير الحادث على أنه كان بدافع السرقة، فسطا على نقودها التي كان يعرف مكانها، شأنه في ذلك شأن سائر سكان "**برودهيني**"، ثم أخفى النقود خارج المنزل؛ ليلقي بالشبهات حول "**بنتلي**"... ثم حدث أن قمت بعرض الصور الفوتوغرافية، وتعرَّفت السيدة "**أبوارد**" على إحداها كصورة مطابقة لصورة راقصة باليه، التي زعم "**روبين**" أنها أمه!

وكانت الصورة المتعرف عليها هي صورة "**إيفا كان**"، ومن هنا كانت السيدة بحاجة إلى فسحة من الوقت لتدبير الأمر، والتحقق مما ساورها من شكوك... غير أن "**روبين أبوارد**" لم يكن بالرجل الذي يدع شيئا للمصادفات. إنه يدبر ويخطط لكل المشاهد والأحداث، ولا يغفل شيئا. فكان تدبير ذهابه إلى المسرح في ليلة راحة "**جانيت**" الأسبوعية، وأحمر الشفاه المختلس من حقيبة يد "**إيف كاربنتر**"، وقد بلغ به حسن الإعداد أنه ابتاع زجاجة عطر من النوع الذي تستعمله السيدة "**كاربنتر**".

وبينما كانت السيدة "**أوليفر**" جالسة في انتظاره بالسيارة للتوجه إلى المسرح، لاحظت أنه عاد أدراجه إلى المنزل مرتين بحجة العمل على راحة السيدة "**أبوارد**"، والاطمئنان إلى أنه أعد لها كل ما هي بحاجة إليه، بما في ذلك قدحا القهوة التي كانت السيدة "**أبوارد**" قد سألته أن يعدهما بجوار مقعدها. ولم يستغرق الإجهاز على السيدة "**أبوارد**" سوى ثوان معدودة، كما لم يستغرق منه افتعال الأدلة كثيرا، ومنها ما يتصل بالعطر وأحمر الشفاه، تركيزا على أن الفاعل امرأة.

وبعد الحادث انتقل للإقامة بمنزل آل "**سمر هايز**"؛ ليدس الصورة الفوتوغرافية التي كان يحتفظ بها على السيدة "**سمر هايز**"، غير أنه حدث أن علم بما أدلت به "**ديردر هندرسون**" من أقوال بشأن توجهها إلى منزل آل "**أبوارد**"، فرأى أن يدس الصورة على الآنسة "**هندرسون**"، ولم يكن ثمة وسيلة سوى الدخول عبر النافذة، ولكنه لم يوفق لسبب خارج عن إرادته، ثم عاد إلى رأيه الأول، أي دس الصورة على السيدة "**سمر هايز**" حيث عثرت عليها في أحد الأدراج.. وعرفت من الذي تيسر له هذا.. إنه الرجل الوحيد المقيم معنا في المنزل، فيما عداي.. وحيث إن اسم "**إيفلين هوب**" كان مدونا فوق غلاف الكتاب الداخلي الذي عثرت به الشرطة ببيت آل "**أبوارد**"، فإنه يتعين أن يكون "**إيفلين هوب**" هو "**روبين أبوارد**" أو السيد "**أبوارد**".. وقد حلت هذه المشكلة بمجرد أن علمت من الممثل "**مايكل**"، صديق "**روبين**

أبوارد" الذي يعرف الكثير عنه بأن السيدة "**أبوارد**" ليست والدة "**روبين أبوارد**" الحقيقية.

الفصل السادس والعشرون

قالت "**مود وليامز**" :

– إنني لن أعودللعمل في شركة ("**بريدر**" و"**سكاتل**").. إنها شركة قذرة.

– المهم أنك استنفدت أغراضك منهم.

– ماذا تعني بهذا يا سيد "**بوارو**" ؟

– ماذا جاء بك إلى هذا الناحية من العالم؟

– أعتقد أنك تعرف هذا، ما دمت تعرف كل شيء؟

– لديَّ فكرة ما.

– وما عساها أن تكون؟

وكان "**بوارو**" يتأمل شعر "**مود**" وهو يقول:

– لقد كنت رصينا فطنا.. كان من المفروض أن السيدة التي دخلت منزل السيدة "**أبوارد**"، السيدة الشقراء التي رأتها "**أدنا**"، هي السيدة "**كاربنتر**"، وأنها أنكرت ذهابها إلى المنزل خشية ما يعقب اعترافها بذلك من نتائج، وحيث إنه قد ثبت أن "**روبين أبوارد**" هو الذي قتل السيدة "**أبوارد**"، فإن تواجدها أصبح غير ذي موضوع كتواجد الآنسة "**هندرسون**"، ومع ذلك فإنني لا أعتقد أنها كانت هناك، وأعتقد يا آنسة "**وليامز**" أن السيدة التي وقع عليها نظر "**أدنا**" هي أنت..

– ولماذا أكون أنا بالذات..؟

– ما الذي حدا بك إلى الاهتمام بـ"**برودهيني**" ؟ لماذا سألت "**روبين أبوارد**" توقيعه، مع أنك لست من هذا الطراز الذي يهتم بجمع توقيعات العظماء والمشاهير..؟ ماذا كنت تعرفين عن آل "**أبوارد**"..؟ لماذا اخترت هذه الناحية

من العالم بالذات..؟ كيف عرفت أن "**إيفا**" توفيت في "**أستراليا**"؟ وكيف عرفت الاسم الذي اتخذته حين مغادرتها "**إنجلترا**"..؟

– إنك داهية أريب. ليس لدي ما أخفيه عنك.

وفتحت حقيبة يدها، وأخرجت منها قصاصة من صحيفة يومية قديمة، عفا عليها الزمن، وبهذه القصاصة كانت صورة "**إيفا كان**" المبتسمة الوجه، التي أصبحت مألوفة لدى "**بوارو**"، وفوق هذه الصورة كانت عبارة «لقد قتلت والدتي»، مدونة بالحبر، وأعاد "**بوارو**" الصورة إليها قائلا:

– أجل، هذا ما ظننته.. إن اسمك الحقيقي هو "**كريج**"..؟

– أجل، لقد تعهدني أولاد عم لي، وكنت قد بلغت من العمر مرحلة يدرك الطفل فيها كل شيء، وطالما كنت أستعيد الماضي وأستغرق في تأملاتي.. لقد كان والدي ضعيفا.. وكانت هي قوية الشخصية، مسيطرة عليه، ومن المحقق أنها هي التي قتلت والدتي وأن أبي قد ضحَّى بنفسه من أجلها، وقد عنيت طوال الوقت بتقصّي أنباءها. وبعد أن اشتد عودي أمعنت في التحري عما كان من مصيرها، وعهدت إلى شرطي سري باقتفاء أثرها في "**أستراليا**"، حيث عرف أنها قضت نحبها. وأنها أنجبت ولدا أطلق على نفسه اسم "**إيفلين هوب**". وكان يبدو أن القصة اختتمت فصولها بهذه المعلومات الأخيرة، ثم كان أن تعرفت على ممثل شاب، ورد على لسانه اسم "**إيفلين هوب**" العائد من "**أستراليا**"، والذي يتسمَّى باسم "**روبين أبوارد**"، وعلمت منه بأنه مؤلف مسرحي واسترعت هذه المعلومات الجديدة انتباهي. وذات ليلة أومأ أحدهم إلى "**روبين أبوارد**" الذي كان في صحبة والدته، مما دعاني إلى الاعتقاد بأن "**إيفا كان**" مازالت على قيد الحياة فسعيت إلى الالتحاق بعمل في هذه النواحي؛ إذ كان الفضول قد استبد بي. بل وأكثر من الفضول.. فليكن إنني سأعترف لك.. فلقد تملكتني رغبة عارمة في الانتقام منها، بوسيلة أو بأخرى.. وحينما اتصلت بشأن "**جيمس بنتلي**" واستمعت إلى قصتك استنتجت أن السيدة "**أبوارد**" هي التي قتلت السيدة "**ماك جنتي**"،

وأن "**إيفا كان**" قد عادت إلى سيرتها الأولى. وحدث أنني سمعت من "**مايكل وست**" بأن "**روبين أبوارد**" والسيدة "**أوليفر**" سوف يشهدان العرض المسرحي بـ"**كالنكاي**"، فقررت أن أذهب إلى بيت السيدة "**أبوارد**" ليكون لي شأن مع هذه المرأة، وحملت معي مسدسا صغيرا. هل كنت أبغي بهذا إلقاء الرعب في قلبها؟ أم كنت أعتزم الذهاب إلى أبعد من هذا..؟ الحق أنني لست أدري.. ثم كان أن ذهبت إلى المنزل، ووجدت السكون مخيماً عليه، ودخلت من الباب الذي لم يكن مغلقا، لأجدها جالسة فوق مقعدها وقد فارقت الحياة.

ثم تطلعت إليه قائلة:

– ماذا أنت فاعل بي الآن يا سيد "**بوارو**"؟

– لا شيء.. أرجو لك التوفيق في حياتك.

خاتمة

كان "**بوارو**" والمفتش "**سبنس**" يحتفلان بنجاحهما في مطعم "**جراند مير**"، وبعد فراغهما من احتساء أقداح القهوة، استرخى "**سبنس**" في مقعده قائلا:

– إنه مطعم لا بأس به.. طعام جيد.. وشراب جيد.. وجلسة مريحة.

– لقد تناولت عشائي هنا ليلة أن قدمت لزيارتي.

– لقد كنت مصيبا في رأيي حينما اعتزمت أن أدع الأمر بين يديك، ولقد أجدت تمثيل دورك، وأحكمت تضييق الخناق عليه إلى أن انهار واعترف، فجنبنا كثيرا من العناء؛ لأن الأدلة لم تكن متوفرة.. يا لك من ماكر!

– إننا صادفنا في هذه القصة الكثير من الأحداث والشخصيات، فإليك مثلا السيدة "**كاربنتر**" ذات الماضي المشين، التي كانت فزعة من تحرياتنا لتقصي حقائق ماضيها؛ خشية أن تفقد "**جاي كاربنتر**" التي ألقت حوله شباكها وأوقعته في حبائلها. إنها لم تكن أرملة حرب كما تدعي. ثم إليك

آل "**ويذربي**" ، هذا البيت القائم على عمد من الجشع، والبغضاء، والأنانية.
إن الفتاة هي صاحبة الثروة؛ لأن هذا يجعل زواجها من "**جيمس بنتلي**" ميسورا.

فتطلع المفتش "**سبنس**" إلى "**بوارو**" دهشا وهو يقول:

– زواجها من "**جيمس بنتلي**"؟ "**ديردر هندرسون**"؟ من قال هذا..؟

– أنا قلت هذا.. إنني أنصرف الآن إلى الاهتمام بإتمام هذا الزواج، وإن كان الطرفان المعنيان لم يدر بخلدهما شيء من هذا القبيل، ولكنني واثق بميل كل منهما للآخر.

– إن "**جيمس بنتلي**" شاب بائس.

– أجل. إنه شاب بائس فعلا، ولعله حزين الآن لأنه لم يعدم.

– يا لشذوذه..!

– هذا الشاب الشاذ، تعجب به فتاتان "**مود وليامز**" و"**ديردر هندرسون**". وإن كنت واثقا بأنه سيختار الثانية؛ لأنها أكثر ملاءمة له، أما الأولى فهي كثيرة النشاط متدفقة الحيوية، مما لا يتفق مع خلقه، وطباعه، وتكوينه.

وبعد فترة صمت قال "**سبنس**":

– سوف يحاكم "**روبين أبوارد**" في الأسبوع المقبل.. إنني أشك..

– فيم تشك، بحق السماء..؟ لعلك تريد مني أن أبدأ من جديد.

فابتسم المفتش "**سبنس**" قائلا:

– كلا، كلا... إنه القاتل الذي لا شك في أنه مرتكب الجريمتين..

تمّت بعون الله

هذه هي أسماء وأرقام الروايات التي يمكنكم طلبها...

سارع في إرسال طلبك !

1 ابنة الفراعنة
2 جريمة الفندق
3 أخطاء القضاء
4 أدلة الجريمة
5 الإرث الدامي
6 أصابع الاتهام
7 امرأة خطرة
8 بصمات الأصابع
9 بواعث الجريمة
10 بيت الأهوال
11 التضحية الكبرى
12 الثلوج الدامية
13 الجثة التي اختفت
14 الجثة الثانية
15 جثة في المكتبة
16 الجريمة الأخيرة
17 جريمة أم
18 جريمة فنية
19 جريمة بلا شهود
20 الجريمة تدق الباب
21 اللغز المثير
22 جريمة عائلية
23 جريمة على ضفاف النيل
24 الجرائم الثلاث
25 جريمة في بيت الطالبات
26 جريمة في الجو
27 جريمة في الصحراء
28 جريمة في قطار الشرق
29 جريمة قتل
30 الجريمة الكاملة
31 امرأة في مأزق
32 الجريمة المستحيلة
33 الجريمة المعقَّدة
34 الشاهدة الوحيدة
35 جزيرة الموت
36 جنون الانتقام
37 الحادث
38 الحب الذي قتل
39 الرجل الرابع
40 ذات القناع الأسود
41 ذات الوجهين
42 رجل بلا وجه
43 غانية باريس
44 رصاصة في الرأس